الأحاديث السياسية

حسن بن فرحان المالكي

بحث يلقي الضوء على السلطة وأثرها في الحديث

دار طوى

1431 هـ -2010م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة السياسية

هذه المقدمة أرى أن أثبتها في كل كتبي اللاحقة، فهي فيما أرى كاشفة - إلى حد كبير - لكل هذا البلاء الذي ورثناه، كاشفة لكيفية حدوثه، ومن أحدثه، وكيف تم قبوله ..الخ.

وليسمح لي المتخاصمون من إسلاميين وليبراليين، أو من قرآنيين وأهل حديث، أو شيعة وسنة، وسائر هذه التيارات والمذاهب التي يشهدها العالم الإسلامي..

أريد أن أخرج بفكرة تعبر عن قناعتي، لا أراعي فيها قناعات الآخرين، سواء كانوا من هذا التيار أو ذاك..

وحتى يفهمني القاريء أحب أن أعطيه الخطوط العريضة لما أؤمن به حتى الآن .. وهذه خاصة لمن يؤثر فيه تصنيف المؤلف أو الباحث ..

لا أخفي على القاريء الكريم أنني مررت بتحولات فكرية متقاربة، من سلفي متشدد ووهابي تكفيري وسروري – بلا علم- إلى تبليغي متجول إلى

شاك في هذه المنظومات كلها، إلى ناقد لها، وصاحبت الجميع بحسن نية، وإلى الآن لا أبغض أحداً لمذهبه، وغنما لظلمه إذا ظلم، كما لا أعادي مذهباً ولا شخصاً، إنما أعادي الأفكار وأدفع عن نفسي ما أمكنني دفعه، خاصة وأنا أعيش في وسط سلفي وهابي ظالم، جردني من كل شيء أستحقه من كتابة إلى سفر إلى عمل إلى تأليف، واستعدى عليّ الصعب والذلول، القريب والبعيد، العزيز والذليل، وقد يأتي يوم تسمعون باغتيالي وتقييد ذلك ضد مجهول، لذلك فأنا لن أكذب مع قرب الرحيل وأزوف الانتقال، ولابد أن أقول شهادة لله وحده، تنفعني في الآخرة، وأنا شاهد على عصري وعلى موطني وعلى المذهب الذي عرفته وتربيت على تعاليمه وخيره وشره، فلن أجامله ولا أجامل وطني على حساب الحقيقة، فالوطن تراب، والحاكم بشر، والله فوق الوطن والحاكم والشعب والعلماء والقصة كلها.

وهذه مع بداهتها لا يكاد يقولها أحد..

اعني لم أسمع في وطني سلفياً يوماً من الأيام يقول إن الله أعلى وأجل من الوطن، والشهادة لله لا للوطن ولا للدولة ولا للسلطة، ... هذه الروح بدهية عند السلفية ولكن لماذا لا يقولونها؟ فالبدهيات تقال، ويجب قول هذا في كل مكان، في السعودية وإيران ولبنان ومصر وسوريا.. لا أعاتب المنتفخين وطنياً وسياسياً.. إنما العتب على من يعرف أن الله فوق كل شيء.. ثم يستحي ألا يصرح بهذا أو يخاف!

ألا ترون في هذا تناقض؟ إذا كان هذا لا يزعج أحداً فلماذا نشعر كأنه لا دين إلا ما رضيت عنه السلطة والعلماء، ولا منكر إلا ما أنكروه... أين الدين؟ أتابع أم متبوع؟

المقصود أنه أثناء هذه الرحلة وصحبة الجميع وحسن الظن بالجميع هداني الله إلى تدبر نسبي للقرآن الكريم وقراءة أكثر للسيرة النبوية ومراقبة كافية للتاريخ، ومعرفة كثير من الظالمين من العلماء والسلاطين، وقليل من العادلين من العلماء والحكام، وتمكنت من تمييز الصحيح من الروايات والأحاديث لتمكني إلى حد كبير من علم الحديث الذي لا تتكشف مذهبيته

وعصبيته إلا بالوعي التاريخي، فأنجاني الله من براثن الغلو والشك في النبوات بأمور أبرزها الوعي التاريخي ثم تبعه زمنياً تدبر القرآن الكريم، وبدأت بعد تدبر القرآن الكريم، ومعرفة خطوطه العامة من العدل ومقاومة الفقر ونصرة المظلومين ... الخ إلى قراءة التاريخ ومعرفة سلوك السلطة وقوة تأثيرها على الفكر، واستطاعتها قلب الحقائق، وتتبعت سير السلاطين والفقهاء الذين عاندوا هذه المباديء القرآنية الكبيرة، من عدل وعقل وحقوق وشهادة لله ومقاومة الفقر..الخ، وعملوا على إشغال المسلمين بصغائر الأمور من صفات وفضائل صحابة وقضاء وقدر وتوحيد مزعوم وشرك وبدع وضلالات..الخ، والتفريق بين الناس هو الهدف الرئيس من هذه الثقافة السلطانية، ورافق ذلك اضطهاد من الصالحين (ذلك الصلاح الحق الذي يجتمع مع العقل والعلم والعدل والشهادة لله وحقوق الإنسان وفهم الآخر ..الخ) وليس ذلك الصلاح الوهمي المذهبي الذي يتركز في تزكية النفس والمذهب وموالاة الظالمين ومعاداة العادلين، وبغض الصالحين، ذلك الصلاح المزعوم الذي يهجم بالأحكام على المسائل والأشخاص، ويقلب الدين رأساً على عقب فيعظّم صغائرة ويهوّن عظائمه، ، ويخاصم في المظنونات ويهمل القطعيات..الخ

أنا الآن أرجو أن أكون مسلماً معتدلاً سنياً في غير غلو، محباً للصالحين من الأمة من صحابة وأهل بيت وعلماء، منحرفاً عن ظالميهم من صحابة وهاشميين وعلماء، لا أؤمن بعصمة أهل البيت ولا بعدالة الصحابة، ولا أهتم إن صنفني من شاء في السنة أو الشيعة أو النواصب، إلا أن معرفتي بنفسي أني سني حر محب للصالحين والعادلين من أي مذهب كانوا.. منفتح على الإنتاج الإنساني، متعاطف مع كل مظلوم من أي دين كان، ممتن لكل من قدم للإنسانية خدمة ولو كان وثنياً.. مبغض لكل ظالم ولو كان مسلماً ومصنفاً في العلماء العباد..

ولذلك ليسمح لي الأخوة القراء؛ أن أتخذ لنفسي طريقاً وسطاً، ليس لأنني أرغب في تجنب الاختلاف مع التيارات والمذاهب فهذا غير ممكن، فلكل مذهب بدعة، ولكل تيار صبوة، أنا لا أخشى من الخصومة، إنما أخشى أن أكون عابداً لهذا التيار أو ذاك المذهب، أريد أن أطرح فكرتي التي تعبر

عن قناعتي، ستجدون فيها تمسك بالقرآن أولاً ثم الحديث ثانياً (ستجدون قرآناً إلهياً غير القرآن الذي حوله المتمذهبون إلى قرآن مذهبي، وحديثاً غير الحديث)! لكن أقل الحديث لا أكثره للأسباب التي سأبديها في هذا البحث، إلا أنه من حيث الجملة لا أنكر إلا ما عارض القرآن الكريم والعقل الصريح والمباديء الإسلامية العامة، مراقباً أثر السلطة في هذا الحديث الذي هو المزود الأساس للفقه والعقائد والتفاسير والكتب السلوكية ..الخ.

ولنبدأ بما يعرف الناس، لننتهي منه إلى ما يمكن أن ينير لنا الطريق ويفك الرموز الكبرى للمسلمين،

فمن الملاحظ باديء ذي بدء.. إن النزاع والتفرق بين المسلمين وتفشي الشحناء والبغضاء والأحقاد بينهم، ليست – فيما أعلم – بين أتباع أي ديانة أخرى..وضعية أو سماوية.. ولا يحمل أمراضهم أي تيار أدبي ولا فلسفي ....

هذا بلاء عند المسلمين فقط.. اختصوا به من بين سائر الأمم والشعوب، بقي معهم على طول الزمان، وتغير الأحوال، .. الأمم تتغير نحو الأفضل في نشر السلام فيما بينها، ويبقى المسلمون في التمسك بشرعية البغضاء، والتنفير والتكفير وتبرير كل الجرائم في حق بعضهم البعض، فمن أين أتى هذا كله؟..

العامل الأكبر – عند التأمل والإنصاف- لهذا الداء الأبدي والسرطان المقيم هو السلطات الظالمة عبر القرون، التي صنعت إسلاماً سلطوياً مرادفاً للإسلام الإلهي، واستطاعت بمكر يزيل الجبال أن تمزج بين الإسلامين، فتخرج منهما إسلاماً واحداً بعناوين إلهية ومضامين سلطوية، وهنا اكتملت الفتنة وعم البلاء وأصبحت المسئولية مضاعفة في كشف هذا الركام التاريخي الكبير الجاثم على صدر الإسلام الإلهي العتيق، حتى أصبح الظلم يتم باسم الله ورسوله وبهذا نجحت السلطة في تحويل الإسلام من رسالة سماوية عادلة إلى سوط سلطة ظالمة ..

هذه النتيجة المخيفة والمسيئة إلى القرآن والنبي محمد صلوات الله عليه) لا يتنبه لها أكثر علماء المسلمين لأنهم نتيجة أخرى من إفراز هذه النتيجة الكبرى المؤلمة، ومن علم منهم وسكت فقد خان الله ورسوله(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160) [البقرة : 159 ، 160]) وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (174) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (175) [البقرة :174 ، 175].

يجب ألا نستغرب سكوت العلماء وإنما نستغرب ممن يستشكل سكوتهم! لأنهم ليسوا إلا نتيجة من نتائج السلطة، ولم يتعلموا إلا إسلام التاريخ، لم يعرفوا بعد الإسلام الإلهي المسطور في كتاب الله لأنهم لا يستطيعون إلا أن ينظروا نظرة السلطة نفسها، فهم لم يتعلموا القرآن خارج منظومة السلطة الفكرية من عقائد وأحاديث وتفسير ..الخ.

إذن فنحن نحملهم ما لا يطاق عندما ننتظر منهم أن يبينوا ولا يكتمون ...

هم لا يرون أنفسهم كاتمين للبينات والهدى .. لأن البينات والهدى عندهم هي نفسها الإسلام التاريخي الموضوع من السلطة لا الإسلام الإلهي المنطلق من القرآن الكريم والسنة الحق..

وعلى هذا لا يستطيع البيان إلا من كان له علم بأمرين:

الأول: العلم بغايات القرآن الكبرى (أهداف الإسلام الكبرى)

والثاني: الوعي الكبير أو الكاف بالتاريخ الإسلامي القديم (إلى أيام التدوين) ومدى انعكاسه على التراث وخاصة (الحديث) لأن الحديث هو المزود الأكبر لبقية المجالات الأخرى كالتفسير والفقه والعقائد.. فكل هذه الفنون تتبع الحديث وتنزف منه وتسقي أرضها وتزرع نبتها، فالوعي التاريخي من أكبر الأسباب الكاشفة لأثر السلطة في هذا الحديث، ثم في

عمليات الانتقاء منه والإخفاء والإعلان والبتر وإخراجه من الاستظلال بظل القرآن إلى نقله إلى أفران السلطة.

وهناك عوامل أخرى ساهمت في هذا التخريب الديني، من ضعف العقول والضمائر وأنواع الإغراءات العاجلة، لكن السلطة وحديثها كان هو العامل الأكبر والمؤثر.. سواء من حيث الكثافة في موضوعات صغرى وبالتالي المزاحمة للأمور الكبرى، أوالانتقاء أوالبتر أو التحريف، أو وضع الصحيح في غير سياقه،...الخ فهذه كلها عمليات شيطانية تعرض لها علم الرواية والحديث، وكان له أبلغ الأثر في إخراج الدين من دين العدل إلى محرض على الظلم، ومن دين العقل إلى دين الحمق، ومن دين العلم والمعرفة إلى دين التقليد والجهل وكراهية المعرفة،.. فهذا الاختطاف الكبير للدين ونقله من موضوعاته الكبرى العظيمة إلى موضوعات مضادة صغرى وتافهة ومسكنة.. كانت خطوة شيطانية جبارة، لا يمكن أن تتم دون دهاء السلطة وسوطها ودينارها وسجنها وسيفها وإعلامها.

وسيأتي شيء من التفصيل المبرهن على تبني السلطة لهذا المشروع من القرن الأول حتى أصبح منهجاً سياسياً مذهبياً.. ترك آثاره السلبية على المعارضة فكيف بفريق السلطة؟..

وكان رجال الدين لحمقهم وجشعهم وضعف عقولهم وضمائرهم هم العرابون الأساسيون الذين قام على أكتافهم وفتاواهم القضاء على الدين الإسلامي قضاءً شبه تام، عبر فتاواهم المازجة بين الدين والظلم،

فتشوهت حقيقة الدين بالظلم؛ وتحسنت بشاعة الظلم بالدين، وكان رجال الدين هم أسهل وأمتع مركب للسلطات الظالمة، إذ استطاعت السلطة – مع وسائل تأثيرها الأخرى-أن تبني على ظهورهم وأحاديثهم وفتاواهم وخصوماتهم ديناً آخر أسموه (دين الإسلام)أيضاً، فاستطاعوا به ضرب كل إصلاح والقضاء على كل أمل .. وبلغ تأثير السلطة درجة مخيفة.

حال المسلمين اليوم إنما هو نتيجة حالهم القديمة:

انظروا إلى العالم اليوم، لا أحد في هذا العالم يستطيع زرع فتنة دينية في الهند التي بها (500) ديانة، ولا بالصين، ولا بأوربا.. ولا أمريكا..وإن زرع اليوم يفشل غداً.. ولكن كل أحد يستطيع وبسهولة أقامة فتنة مستطيلة الزمن عميقة الأثر في حي فقير من أحياء بيروت أو بغداد أو المدينة أو مكة أو صنعاء أو إسلام أباد أو كابل...الخ..

لماذا هذا التباين في الحالتين؟

لا يكفي القول بأن المسلمين حمقى وأغبياء من بين أمم الأرض.. ولا بأنهم أقل الشعوب رحمة وإنسانية .. ولا بأن عقولهم أصغر من عقول البشر، أو أن لوثة فطرية قد طمست على قلوبهم.. فضلاً عن القول بأن دينهم يدعو للكراهية والبغضاء والشحناء والغش والكذب والتحايل...الخ.

لا يكفي هذا التعميم، لابد من تخصيص الرؤوس .. فكل رأس من الحمقى يتبعه ألوف، فإذا وجدنا أن أهل الدين هم أكثر من تتفشى فيهم هذه الأمراض، فتجدهم - من حيث الجملة- من أقول الناس بالجميل وأعملهم بالمعصية، ومن أعدلهم في العمومات وأظلمهم عند التفصيل، وأكثر الناس دعاء للظالمين، وأشدهم دعوة على المظلومين، ومن أبعد الناس عن القطيعات، وأجزمهم في الأوهام، ومن أقول الناس بالكذب على الله ورسوله، ومن أقلهم أمانة مع القريب والبعيد، ومن أكثرهم شكاً في البدهيات، ومن أقواهم تمسكاً بالظنيات، ومن أعرضهم عن آيات الذكر الحكيم ومن أقولهم بالآثار والأقوال الخصومية.. ومن أكثر الناس تعبداً بالمعاصي الكبرى، ومن أجلدهم على الطاعات الصغرى.

كل هذا مع طول لسان وبسط بنان وسلطة ظاهرة وعامة تابعة..حتى أصبحوا بهذا أشذ أهل الأرض عن أهل الأرض، وأبعد أهل الأرض عن أهل السماء، ألا يعطي هذا شكاً عند الكفار والملحدين وغلاة العلمانيين بأن بلاء المسلمين في دينهم، وأن الدين هو طابخ الأمر كله؟**!** فالدين كل هذا؟ أليس في هذا فتنة لمن لا قدرة له على تدبر القرآن وتقييم روايات السيرة والحديث؟**!**

الجواب بلى؛ خاصة عندما يسمع هؤلاء - (من كفار وغلاة علمانيين)- عندما يسمعون كبار العلماء والمشايخ والدعاة وهم يحتجون لهذه الأمراض البشرية بالأدلة الشرعية.. محتجين على دعم كل تخلف بأدلة قرآنية وأحاديث نبوية؟ أليس في هذا صد عن دين الله؟

انظروا إلى كراهيتهم المختلف في الرأي أو العقيدة و التأويل وإن كان مجتهداً عادلاً صادقاً أميناً..وعلى محبتهم الموافق ولو كان ظالماً كاذباً آثماً فاجراً..؟!

أليس هذا أكبر تحريف للدين وأبلغ تشويه للإسلام ؟

أليس هذه الطبقة من المتمذهبين – الممكّن لهم في الأرض ممن يقاربهم- أولى بالمقارعة ودحض التلبيس وأظهار العلم وتحريم كتمانه؟

هؤلاء أولى برد شبهاتهم من الملحدين.. لأن الإسلام لو عرضناه بحقوقه الإنسانية وخطوطه القرآنية العامة ومشروعه الحضاري الجامع لكان ذلك أبلغ في الدعوة وأنفذ في الصيت وأوقع في الحجة والبرهان.. ولما احتجنا للمؤتمرات في تصحيح صورة الإسلام غرباً وشرقاً[1]..

الإسلام يحتاج لجهد استثنائي لإخراجه من تحت الأنقاض التي خلفها القصف السياسي، والتفجير المذهبي... نحتاج لخطة طويلة الأجل لإحياء القرآن الكريم ومنه نتعرف على ما صح من السنة، ولابد من استبعاد محاصرة القرآن بدعاوى النسخ والتخصيص والتفسير وضرب بعضه ببعض أو معارضته بما لا يمكن ثبوته من حديث مرفوع أو أثر مقطوع أو دعوى إجماع كاذبة أو نحوه من تلك السبل الكثيرة التي فصلت ثقافتنا عن هدي القرآن الكريم .. وأصبحت الدعوة إلى القرآن شتيمة وسبة، بينما الدعوة للسنة ولو ضعيفة فضيلة، والتمسك بأقوال المفسدين للدين من السلف من علامات حسن التدين والإتباع..

أمة تخجل من التصريح بمرجعية لقرآن وتعتبر العودة للقرآن عاراً كيف نقول إنها أمة إسلامية؟

هذه مجالس المسلمين معروفة للجميع، ما إن يحتج أحد الحاضرين بآية حتى يقول معارضه :ولكن فيه حديث يقول كذا وكذا!

أليس في هذا تسليم ضمني بأن القرآن في مكان والحديث في مكان آخر؟

كيف تنجح الأمة دينياً مع اعترافها الضمني بهذا الانفصال الفج عن مصدر الهداية ومفصل التحاكم؟

كيف وهذه الأمة تصم من قدم القرآن على مظنون الحديث من نادى بهذا بوصم (القرآنيين)[2] وكأن الانتساب للقرآن عاراً حتى مع استصحاب السنة، بينما يصبح الانتساب للسنة فخراً حتى مع استبعاد القرآن ..

كيف يصبح هجرة القرآن وأعداؤه العمليون أعلاماً للسنة والإتباع؟

بينما متدبرو القرآن والعقلاء في خانة الزيغ والابتداع؟

مع أن حرب القرآنيين للسنة أخف بكثير من حرب السنيين للقرآن، وإن كانت حربهم خفية وليست فجة، لذلك لا يدركها إلا القليل من المتأملين..

فالمسألة بين القرآنيين والحديثيين مسألة ترتيب أدلة، فهناك من يقدم القرآن قولاً وعملاً مع قليل من الهجر للسنة.. وهناك من يقدم (مختلط السنة) مع هجر عملي كامل ومقصود للقرآن الكريم..

على أن مسمى(السنة) قد أخذ عبر التاريخ مفهوم (الرأي العام) للسلطة ، وهناك استخدامات مختلفة للمحرضين على السنة، فمنهم من يقصد سنة النبي (ص) وهؤلاء قليل في المتقدمين كثير في المتأخرين، ومنهم من يقصد (الرأي العام المدعوم من السلطة)وهذا كثير في المتقدمين قليل في المتأخرين، وليس هذا الكتاب في تفصيل ذلك..

إذن فليس بالضرورة عندما نجد الوصية بالسنة من أحدهم أن يراد بها سنة النبي (ص)..

ولهذا تفصيل طويل.. فالألفاظ التي يسمعها البسطاء ليست لها معاني ثابتة ..

المسئولية العامة:

المسئولية الخاصة تقع على السلطة والعلماء، وأما المسئولية العامة فتقع على المسلمين جميعاً، لأنه لا سلطات تقف أمام المعرفة والشهادة لله، فمن قامت عليه الحجة من المسلمين وجب عليه القيام بواجبه، فقد طال السكوت، وما هم عليه المسلمون من إضاعة المباديء الكبرى للإسلام لم يكن وليد صدفة، ولا مؤامرة وافدة، ولا نتيجة أمر ديني أو إنساني، ولا استجابة لعقل أو ضمير..وإنما هو نتيجة طبيعية لإضاعة أو محاربة أو تقزيم المباديء الكبرى التي أتى بها الإسلام .. من العدل الفاصل، والصدق الكامل،وحرية الإيمان وقبول الرأي، وقول الحق بلا خشية، وإقامة الشهادة لله، والعدل ولو مع الخصوم، ونبذ التعصب للأقربين، فضلاً عن الطائفة والمذهب.... هذه مقدمات حضارية كبرى، وضمانة لقوة أية أمة في نفسها، وبقائها بين الأمم ... والتفريط في هذه المباديء العامة – فضلاً عن محاربتها-ستؤدي قطعاً إلى التفريط في دعامات البقاء.

وكانت البداية في النزاع السياسي الذي أدلى بأفكاره صحيحة أو سقيمة إلى الناس، ومن قَصُرت حجته أطال سيفه، فطالت معه الفكرة ملوثة بالدماء، كما فعل سيف السلطة بلسان السنة، وبالمهزوم سياسياً أو عسكرياً (كالخوارج والشيعة والمعتزلة)، إما أن يفجّر أفكاره في وجوه الجميع كما فعل الخوارج، وإما يغرز أفكاره في الأرض ويحيطها بالكتمان، كما فعل الشيعة..وأما أن يخاطب الخاصة دون العامة فيهلك في أشهر مع أي انقلاب سياسي كما فعل المعتزلة.

ومع التقاطع والتقاتل ذهبت التعارف والتنوع ..وحرص أصحاب المذاهب على الفرز المذهبي والاصطفاف الطائفي ثم تأصيل النزاع ومع الصراع الدائم ذهب التعارف، وأصبحت المدرسة تستغرب أختها أكثر من استغرابها للأديان الأخرى..هذه الثلاث طوائف (السنة ويدخل فيهم النواصب، والخوارج ويدخل فيهم الأزارقة، والشيعة ويدخل فيهم الباطنية) فكان الصراع الأبدي الذي نراه اليوم بين المسلمين، الذي ما إن يسد من

جانب حتى ينفتق من جانبين، ..المؤدي للتنازع المستمر ثم التفكك النازف، ثم الهزيمة والانهيار في نهاية الأمر..

ونحن اليوم نرى هذا الانهيار والتفكك والتخلف ونشهده على كل المستويات.. وإن كان سلفنا الصالح منهم وغير الصالح ربما اغتروا بالانتصارات السريعة التي شدت إليها الأبصار، وألهت عن الأفكار، بل عن القيم الدينية والواضحات في القرآن والسيرة، هذه الانتصارات السريعة رغم ما صاحبها من تعدٍ على الأوامر الشرعية، إلا أن أبلغ خطيئة ارتكبها أهل الثقافة (وهم علماء الشريعة يومئذ) أنهم أصبحوا كالشعراء.. لا يهمهم تحليل الظاهرة إلا بما يرضي السلطان، ويسكت عن الطغيان، ونية السلطان – في أغلب الفترات- لم تكن لنشر إسلام ولا إزالة أصنام، كما يظن من لم يقرأ التاريخ، كان هناك هدفان، إشغال العدو الداخلي بالاشتباك الخارجي، ، منجنيق بيد قتيبة بن مسلم، وآخر يهدم الكعبة .. وضاع الناس بين أمر الجهاد وإهلاك العباد... تمددنا في الأرض ولم نرتفع إلى السماء.. وبقدر الطول نأخذ من الارتفاع، فكانت النتيجة جمود الآليات السياسية إلى الأسوأ، حتى أصبح السلطان آلهة معبودة، والثقافة وائدة وموؤدة، يفتي السخيف فيها بقتل الضعيف، فكثرت الأموال المنهوبة والرؤوس المنصوبة...واليوم نستفيق على وضم مجّده الأسلاف، بيننا وبينه سور الأعراف، فلا دنيا بقيت لنا بعد النجعة.. ولا ديناً حافظنا عليه قبل الهجعة، فنحن بين التغني بانتصار قد ذهب، والتحلي بتصحيح لم يبدأ، ونحن بالموضعين، نُسحق برحى الوَهْنَين.. ولو أتينا البيوت من أبوابها لعرفنا الهدى من قريب.. فليس البقاء في تملك البلاد، ولا امتلاك رقاب العباد.. فالدنيا تنال بأقرب من هذا ، والدين لا يقوم على إزهاق هذه النفوس..

إذن فهذا الواقع اليوم يجعل من أراد المراجعة الذاتية، أن يعيد النظر في ما كتبه الأسلاف تحت حوافر الخيل وبياض السيوف، .. إذ أننا اليوم نرى النتائج وأسلافنا لم يروها، رأينا أن الدولة الإسلامية تهاوت وتفككت وتنازع أهلها وتفرقوا شيعاً، وتسلط عليها من كانت تتسلط عليه، بعد أن استفاد ذلك المهزوم من الهنات وطور الذات، وبقيت هذه الأمة تتغنى

بأمجادها وتطوي مكامن الخلل وتمنع من مناقشته، إلى أن تسلط عليها أهون الأمم وأقلهم وهُزمت أمامه في كل المجالات ، وهذا الخلل الكامن في ثقافتنا قديم، كان أوله خفيفاً فتركنا معالجته فتطور وتضخم حتى نثر جسد الأمة من داخلها، والقرآن الكريم يعلمنا أن نفتش على أنفسنا عند أي مصيبة تجري علينا(وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)، لكن لم نفعل وأخذنا نحيل أمراضنا على الآخرين، فالحريق داخل بيوتنا لكننا نخرج منها لنرى من أين أتى هذا الحريق؟! وكان الأولى إطفاء الحريق أولاً ثم معرفة مصدره بعلم ثم اتخاذ سبل الوقاية من تكرار الحريق، ولنا اليوم 1400 سنة ونحن فوق سطوح البيوت ننظر بالمناظر من أين أتانا هذا الشر المستطير، هل هو من الجيران، أو من غرباء طرؤوا على الحي، لكن لم نسأل أنفسنا ما إذا كان أحد سفهائنا أو أطفالنا قد تسبب في هذا .. وإذا كان هذا المثل للتقريب، فإننا نذلف منه إلى القول بأنه لابد من التفتيش عن بداية الانحرافات في ممارساتنا، وخاصة الثقافية منها، لأن الثقافة هي مفتاح كل المجالات الأخرى، فهي المجال الوحيد المؤهل لإصلاح نفسه، ثم إصلاح المجالات الأخرى، فقيام الثقافة بإصلاح المجالات الأخرى قبل إصلاح نفسها كمن ينجد مبتوتين بأكياس من قمح رديء، والكيس الواحد فيه مئة خرق، كل خرق يتسع لثلاثة فئران، والدابة سيئة الركض، ترج الأكياس كالغربال بين يدي ساخط، فهذه النجدة لن يصل منها إلا ما أحاطت به الحبال أو استقر على ظهور البغال!..

وكل مجال آخر كالسياسي مثلاً، لا يصلح لإصلاح الثقافة، لأن الميت لا يعالج المريض، والسياسة لن يصلح من هزيل الثقافة شبراً إلا وقد أخذ ت من سمينها باعاً.. ولن تصعد إليها ماشية ولو بسفح إلا وقد انحدرت الثقافة نحوها هرولة، كجلمود صخر حطه السيل من علِ ..، والتي لابد أن يكون من أهمها هو التظالم، سواء مظالم المسلمين في حق أنفسهم أوفي حق سائر الشعوب.. والشجاعة تكون بمراجعة الناتج الثقافي لأن عليه مدار كل الإصلاحات، ومنه كل تجديد..

الظلم هو الغالب..في تاريخ المسلمين.. وتبعية الثقافة..

هذا لا يعني إن تاريخ المسلمين كان أسود حالكاً.. فهناك فترات لدولة العدل، وتطبيقات في بعض الدويلات هنا وهناك، ومحاولات نظرية عند بعض الفرق الهامشية .. ولكن الأعم الأغلب على الدولة الإسلامية في القرون الثلاثة الأولى هو الظلم والانحراف الكبير الذي أنتج ثقافة تتناسب معه إلى حد كبير في الظلم والاستبداد وحب التفرد وانتهاك حقوق الإنسان..

وهذا يعني أن ينعكس هذا الظلم على التراث، فيتأثر التراث بالسلطة لأنه مهزوم وهي منتصرة، وهذا بالتالي ينتج ضعفاً معرفياً بالإسلام في معانيه الكبرى ورسالته السامية؛ ولذلك عند مقارنتنا للقرآن الكريم مع كتب الفقه والحديث نلحظ الفرق الواسع بين موضوعات القرآن الكبرى والموضوعات التي كتبها أهل الفقه والحديث[3]... أما أصحاب العقائد فأغلب موضوعاتها على الضد تماماً من الأوامر القرآنية .. وهذا التراث الذي ورثناه، كلنا نعترف أن فيه الحق والباطل، ولكن أين الحق وأين الباطل وما نسبة هذا وهذا .. هنا تفترق الطرق.. بحسب القرب من السلطة والبعد عنها.. وليس وفق معايير علمية موضوعية .. لأن المعيار الأكبر (القرآن الكريم)مهجور! ومحرف عن مواضعه، وكذا المعايير الأخرى .. فالسنة غير معلومة بدقة (وقد اختلطت فيها سنة محمد (ص) مع سنة الحجاج)، والإجماع غير متحقق، والعقل وإن كان مشاداً به في القرآن (المهجور)، إلا أنه مسخوط عليه في العقيدة المذهبية..

الفراغ الهائل الذي نتج عن هجر القرآن الكريم..

أستطيع أن أضيف قائلاً : إنه فضلاً عن تأثير السلطة في التراث لتأثيرها في أهل الفقه والحديث والعقائد والتفاسير، إلا أن التراث والسلطة كليهما كانا نتيجة طبيعية جداً لهجر المسلمين للقرآن الكريم .... وهذا ظلم اشترك فيه الجميع إلا من رحم الله..

وفي يوم القيامة (يوم يعض الظالم على يديه) لن يشتكي الرسول (ص) يومئذ من كفر الأمم الأخرى، وإنما يشتكي من أمته التي أرسل إليها... وشكواه تتركز في موضوع واحد فقط...وهو بالتحديد هجرهم للقرآن

الكريم (وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا).. ولن يقولها الرسول (ص) إلا صادقاً.. واعترافنا بهذه الحقيقة المرة لعلها تكون أول الطريق وأول خطوة من خطوات التواضع.. وترك تزكية النفس المنتفخة بفراغ الخصائص والمزايا والتاريخ المجيد..نحن لا نبحث عن انتصار أعمى .. وإنما عن بقاء معنى..

على كل حال: لا بد أن نتفق على أن: ..

على أن هذا الهجر للقرآن الكريم من الطبيعي جداً أن يخلِّف فراغاً هائلاً..

لأن كتاب الله ليس هيناً.. وهجره لن ينتج عنه فراغ يسير؛ يمكن سده بأحاديث وآثار ومواعظ وحكم من الشعر والنثر..كلا، كتاب الله عظيم..

ولابد أن يكون لهجره آثار عظيمة تتناسب مع عظمته....

و لعل من أول وأظهر وأعظم وأسوأ آثار هذا الهجر شعور المسلمين بكل مذاهبهم أنهم لم يهجروا القرآن الكريم..! وأنهم على التزام كامل به، وأنهم يسيرون في هديه، وأنهم من أنصاره وأتباعه والمعتنين به... هذه أكبر شهادة زور في التاريخ..لأنه على هذا الرأي – وهو الثقافة التقليدية للمذاهب الإسلامية كافة – يكون المسلمون مكذبين عملياً لا نظرياً بالآية الكريمة التي تتحدث عن شكوى الرسول من هجر قومه (أمته) للقرآن الكريم، إذ لا يرى المسلمون أن النبي (ص) سيشكو إلى ربه هجر المسلمين للقرآن الكريم! لأنه محل عنايتهم وحفظهم وتجويدهم!

وليس بعد هذه المخالفة مخالفة.. ولا بعد هذه المكابرة مكابرة..

إلا الإنكار لهذه الحقيقة، هذه مكابرة أعظم...

أي الإنكار بأن هذا ليس الفهم العام المستقر في عقول علماء المسلمين فضلاً عن العامة.. وهذا من أكبر أدلة هجر القرآن الكريم.. إذ لو تدبرنا القرآن الكريم كما يجب لوقفنا عند هذه الآية كثيراً.. وتخوفنا منها واتهمنا أنفسنا..وخشينا أن نكون من هؤلاء الهاجرين لكتاب الله.. والغريب أن بعض الناس يخشى على نفسه من أوهام الكفر، ويترك صريح

الهجر..يشغل نفسه بما ليس فيه، ويترك ما بين جنبيه..لأن هذه الخشية زرعها المذهب فقط، ولأن هذا الهجر صرح به القرآن فقط!

أغلب علماء المسلمين فضلاً عن عامتهم يظنون أن مجرد التلاوة والتعهد للحفظ والتجويد يتنافى مع هجر القرآن الكريم..! وهذا وهم كبير (إن يتبعون إلا ظناً وما تهوى الأنفس).. فتلاوة القرآن الكريم بعقول مذهبية أوإقليمية أو وطنية لن يزيد قارئه من فهم القرآن إلا بعداً... لماذا؟ لأن قاريء القرآن الكريم اليوم لا يقرأه إلا من خلال ما يعرفه من المصطلحات المذهبية والوضعية ...التي وضعها التاريخ بسلطته السياسية والمذهبية.. ولن يستطيع الخروج من هذا القمقم إلا بإرادة استثنائية.. تقفز على النفس أولاً وعلى الواقع المعرفي السائد ثانياً..نعم ؛ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها .. ولكن هذا التكليف لا نعلمه، وهذا الوسع لا نبذله... رضينا بالحياة الدنيا.. فأحاط بنا الدنو من كل جهة[4]..

إذن فهجر القرآن الكريم أيضاً كان نتيجة من تلك النتائج التي أفرزتها السلطة، وتدبر القرآن الكريم أصل من الأصول القرآنية التي أهملها المسلمون إلى حد محزن ومؤلم..

هذا التفريط القديم في الالتزام بالأصول الكبرى من الأخلاق والحقوق والمباديء القرآنية والنبوية؛ كان لابد أن يوصلنا إلى ما نحن فيه اليوم[5]..وما نحن فيه اليوم قد يكون أفضل مما وصلنا إليه نهاية القرن الأول.. فهناك اليوم دراسات جادة وصلت إلى ما خفي على كثير من السلف الأول، ولكن الناس لتأثرهم بالسلطة لا يقيسون النجاح إلا بمقدار مايفتح من البلدان ويجلب من الأموال ويخمد من الثورات!.. ولو كانت مقاييسهم وفق المباديء العامة للإسلام لعرفوا أن الظروف اليوم أفضل.. وأن سلفنا لو علموا بظروفنا لتباكوا على زمننا بدلاً من أن نتباكى على زمانهم[6]..

خيرية القرن الأول في ماذا؟ :

خيرية القرن الأول ليس بعدد القاتلين وإنما بعدد المقتولين، لا نصيب في هذه الخيرية لسلطة الظالمين، وإنما لتضحيات المظلومين، القرن الأول هو القرن الأكثر مذابح بحق الناطقين بالحق في كل بلدان المسلمين، (بمكة والمدينة والكوفة والبصرة ومصر واليمن)، القرن الأول أفضل القرون، لنور الرسالة ونزول القرآن ، وتحرير الإنسان، ووجود رسول الأنام، ومن ناصره وأخلص لرسالته من المهاجرين والأنصار، ومن سار بصدق على نهجه من صالحي التابعين، لكنهم في وسط أكبر وأمكر من المنافقين والأعراب والغوغاء والدهماء، نعم القرن الأول خير القرون .. لعدد الألسن المقطوعة لصدعها بالكلم، والأطراف المبتوتة لمشيها في الظُلَم، والأطفال المذبوحة، والأعناق المختومة، والجثث المشوهة، والأجساد المصلوبة، والملعونين-ظلماً- أمواتاً، والمدفونين - جوراً- أحياءً، ... و المقتولين صبراً، والمسجونين قهراً... هذه التضحيات هي التي أعطت الخيرية للقرن الأول.. لماذا؟

لأن كل هذا دليل ظاهر على أن هؤلاء المظلومين لم يبيعوا دينهم، وقالوا كلمة الحق عند السلطان الجائر، وقاوموا الظلم ما استطاعوا.. فبقيت سيرهم وتضحياتهم مانعة من التحريف الكلي لدين الإسلام..وبقيت خدشاً كبيراً في وجوه الظالمين..لذلك كان القرن الأول خير القرون..وليست خيرية القرن الأول في النزاع بين المسلمين، ولا ردة المرتدين، ولا ظلم الظالمين، فلا خير في نزاع السقيفة، ولا ردة بني حنيفة، ولا منع الزكاة، ولا بغي البغاة، ولا قتل حجر، ولا فحش بسر، ولا استباحة الحرمين، ولا ذبح الحسين، ولا تبديل معاوية، ولا فئته الباغية، ولا مروق المارقة، ولا عنف الأزارقة، ولا إمارة الحجاج ، ولا سادة الحجاج، ولا أثرة المال، ولا ذبح الأطفال، ولا إبطال الشورى، ولا تقليد كسرى، ولا غفلة الصالحين ولا دهاء المنافقين، ولا وحشية الأعراب، ولا عصبية الأنساب، ولاهجر القرآن العظيم، ولا وضع الأحاديث على النبي الكريم..فهذه كلها وإن حصلت في القرن الأول، إلا أن خيرية القرن ليس بها قطعاً.. وإن كان لا مقارنة بين نزاع السقيفة وردة بني حنبفة، لكن النزاع شوش على طريقة

الحكم، وأصبح النزاع حجة ركب بها المسلمون الصعب والذلول، ثم الذلول لحقه دخن وتبعته ذيول..

وسترون في الملاحق التفصيلية ما جرى للصحابة أنفسهم من إذلال على أيدي سفهاء مثل الحجاج ومروان وزياد وابن زياد.. ففي العهد الأموي فقط؛ تجد قوائم خيرية القرن الأول، ماثلة في قائمة بالصحابة المقتولين صبراً، وقائمة بالصحابة الذين ختم الحجاج على أعناقهم إذلالاً لهم، وقائمة بالمقطوعة ألسنتهم وأطرافهم من صالحي التابعين الذين صدعوا بكلمة الحق، ... وقائمة المدفونين أحياءً.. وقائمة الميتة قلوبهم ولاة وملوكاً، ومن قضى تحت العذاب، وقائمة الملقَين من أعلى القصور و المباني، وقائمة المنفيين ظلماً والمسيرين من الأرض، وقائمة الأطفال المذبوحين، وقائمة النساء الصالحات المصلوبات عاريات، .. ومعظم هذا في عهد بني أمية خاصة، فضلاً عن المذابح البربرية العامة تحت كل سماء، وعلى كل بطحاء[7]،..فائدة معرفتنا بهذه المذابح وهذا التنكي؛ ليس هجاء الأموات، ولا تتبع الزلات، ولكن لنعرف أن هذه الأحداث قد أعادت رسم وتشكيل وتلوين للخارطة الثقافية للمسلمين، بما يعلي من شأن السلطة وجبروتها ووحشيتها وانتهاكها للحقوق، ويخفض من شأن الإسلام وسماحته وعالميته وراعيته للعدالة والحقوق، ولهذا من الطبيعي أن يَنتج عن هذا (التنور الحطمي الجهنمي) إنضاجُ مزيجٍ فاسدٍ للأفكار المتضادة لإجبارها على تكوين طبخة سلطوية واحدة، لا نستطيع أن نفرق فيها بين شحم الضأن ولحم الخنزير، فقوة نار التنور واشتدادها، وكثافة دخانها وامتدادها؛ لا يبقي مطمعاً إلا في الرماد، فقد اجتمعت الأضداد، وصار معاوية فوق المقداد**!**..

الأمر الذي نحتاج فيه لجهد استثنائي لفك الارتباط والتداخل والاشتباه، بين تعاليم الأنبياء وقلوب السلاطين، .. إذن فهذا هو الزمن الجميل والعهد الذهبي، الذي يتباكى عليه غلاة اليوم: المتحدرون من رماد هذا التنور، ومن بقايا ذلك الحريق[8]...

استئصال الصحابة في القرن الأول – وهم أقول الناس بالشهادة-

وأغلب غلاة عصرنا وسلفهم، بين أمرين، إما أن نيتهم حسنة ويجهلون التاريخ، وإما أنهم أصحاب مكر عظيم، إذ كيف يقولون أن القرن الأول كان خيراً خالصاً، وأن أهل ذلك القرن كانوا يحبون الصحابة والتابعين بإحسان؟! وهذا وهم كبير ترده متواترات التاريخ والوقائع، صحيح أن القرن الأول كان أفضل لكثرة شهداء الله على الأرض، ولكن هؤلاء الصحابة استؤصلوا في القرن الأول، من قبل السلطات الأموية التي يدافع عنها هؤلاء الطيبون أو الماكرون، فالأمويون استأصلوا أهل بدر بصفين قبل أن يحكموا، واستأصلوا أهل الرضوان بالحرة بعد أن حكموا، وختموا على أعناق بقية الصحابة بعد أن تحكموا، وهذه الأمور صحيحة في أصح مصادر أهل السنة وتواريخهم، وليست من رواية الخوارج ولا الشيعة ولا المعتزلة ولا الجهمية .. ولم يرو أهل السنة هذه الفضائع عن متهم أو مشبوه، وإنما هذا ما أكده شاهد عصره، التابعي الكبير سعيد بن المسيب رضي الله عنه، كما ورد في أصح مصادر أهل السنة :- صحيح البخاري [جزء 4 - صفحة 1475] قال - سعيد بن المسيب-: : وقعت الفتنة الأولى - يعني مقتل عثمان - فلم تبقِ من أصحاب بدر أحداً، ثم وقعت الفتنة الثانية - يعني الحرة - فلم تبقِ من أصحاب الحديبية أحداً ثم وقعت الثالثة فلم ترتفع وللناس طباخ (يعني قوة أو عقل أو خير)..اهـ والأثر في موطأ الشيباني (3/502): عن مالك عن يحي بن سعيد عن سعيد بن المسيب نحوه ولكن لفظ (فإن وقعت الثالثة..) ولفظ البخاري أقوى، وهو عند عبد الرزاق في مصنفه (11/358) عن معمر عن يحي بن سعيد عن ابن المسيب، ورواه أحمد بن حنبل عن يحي بن سعيد عن ابن المسيب (كما في العلل لابنه عبد الله 3/92)...

تفسير الفتن والصحابة فيها:

يقصد سعيد بن المسيب بالثالثة فتنة بني مروان..

فالفتنة الأولى التي استأصلت (أهل بدر)هي فتنة معاوية، وخروجه على الخليفة الشرعي علي بن أبي طالب، وقد شهد مع علي صفين سبعون من أهل بدر، وثمانمائة رضواني، وبقية المهاجرين والأنصار[9]، وليس مع

معاوية بدري ولا رضواني، وإنما طلقاء وأعراب وقبائل غسان وكلب، وغالبيتهم كانوا من النصارى، فقتل في صفين نحو نصف هؤلاء البدريين والرضوانيين، رأسهم عمار بن ياسر الذي نشر معاوية جائزة لمن يأتي برأسه، وقد تخاصم القتلة بين يديه كما في مسند الإمام أحمد وغيره..ومات بقية أهل بدر في عهد معاوية إما مهانين كبدريي الأنصار(قصة ابي قتادة مع معاوية: فاصبروا حتى تلقوه**!**)، أو مسمومين كبدريي المهاجرين (قصة موت سعد بن أبي وقاص مسموماً**!** بعد رفضه البيعة ليزيد ولياً للعهد**!**)، أو تم اغتيالهم كفاحاً (اغتيال محمد بن مسلمة في أول عهد معاوية وبإيعاز منه ، وكانت عند ابن مسلمة أسرار عمر وسياسته، ومنها همه بعزل معاوية، ثم وصيته لمن بعده بعزله، وأن الخلافة لا تجوز للطلقاء ولا لأبنائهم**!**)**!**..

وأما الفتنة الثانية فكانت لابنه يزيد بن معاوية، وكانت في حق أهل المدينة (فبقي جيشه ثلاثة أيام يفجرون ويقتلون وينهبون وينتفون اللحى – حسب تعبير الذهبي وغيره-)[10]..

والثالثة فتنة مروانوخبيثهم الحجاج الذي أهان الصحابة بالحجاز وختم أعناقهم قبل أن يوليه عبد الملك العراق، وأتى هناك على البقية الباقية من صالحي أهل العراق، فهذه الفتنة هي التي قال عنها سعيد بن المسيب (أنها لم ترتفع وللناس طباخ (أي قوة) على قول الحق ومقاومة الباطل، أو (عقل) في تمييز الخير من الشر..وهذا ما حصل، فإن الحجاج استأصل بقية أهل الفضل وقول الحق من خيار من تبقى من الناس حتى لا يكاد أحد يستطيع أن يأمر بالصلاة .. والحجاج لا يكفيه متن ولا هامش.. لكن أختصر الوضع العلمي والديني والسياسي في عهده بمثال (رواية واحدة تعبر عن كل شيء)، وتعليق منصف لأحد الحنابلة... وفي الملحق مزيد من التوسع..

مثال : عهد الحجاج واندراس الشهداء والعلماء:

قصة الصحابي يزيد بن نعامة الضبي ..وكان قد أمر نائب الحجاج على البصرة بصلاة الجمعة قبل أن تغيب الشمس**!** فتسبب له ذا القول بنفي

بسجنه أكثر من عشر سنوات ونسيان علمه وصحبته بل واسمه وشطبه من لائحة صالحي الأمة، حتى أنه لا يكاد أحد يعرفه اليوم! من المدافعين عن الصحابة والغيورين على السلف الصالح!

وبعض قصته رواها أبو يعلى وغيره بسند صحيح- مسند أبي يعلى [جزء 2 - صفحة 536] - قال:حدثنا قطن بن نسير حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا المعلى بن زياد قال : لما هزم يزيد بن المهلب أهل البصرة، قال المعلى : فخشيت أن أجلس في حلقة الحسن بن أبي الحسن(البصري) فأوجد فيها فأعرف! فأتيت الحسن في منزله فدخلت عليه، فقلت : يا أبا سعيد كيف بهذه الآية من كتاب الله ؟

قال : أية آية من كتاب الله ؟

قلت : نعم قول الله في هذه الآية : { وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون }[11][المائدة : 62]

قال :يا عبد الله إن القوم عرضوا السيف! فحال السيف دون الكلام[12]!

قلت : يا أبا سعيد فهل تعرف لمتكلم فضلا ؟

قال : لا ![13]

قال المعلى : ثم حدث (الحسن) بحديثين قال - في الحديث الأول- : حدثنا أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول الحق إذا رآه أن يذكر تعظيم الله فإنه لا يقرب من أجل ولا يبعد من رزق)[14]..

قال : ثم حدث الحسن بحديث آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ليس للمؤمن أن يذل نفسه

قيل : وما إذلاله نفسه ؟

قال : يتعرض من البلاء لما لا يطيق)

قيل : يا أبا سعيد فيزيد الضبي وكلامه في الصلاة؟ - يقصد أمره نائب الحجاج بصلاة الجمعة قبل أن تغرب الشمس-

قال – الحسن- :أما إنه لم يخرج من السجن حتى ندم! – وهذه إشاعة من السلطة صدقها الحسن كما سيأتي-

قال المعلى :فقمت من مجلس الحسن فأتيت يزيد (يعني الضبي)

فقلت : يا أبا مودود بينما أنا و الحسن نتذاكر إذ نصبت أمرك نصبا

فقال : مه يا أبا الحسن؟

قال : قلت : قد فعلت ..

قال : فما قال الحسن ؟

قلت : قال :أما إنه لم يخرج من السجن حتى ندم على مقالته!!

قال يزيد : ما ندمت على مقالتي وايم اللهلقد قمت مقاما أخطر فيه بنفسي.

قال يزيد : فأتيت الحسن

فقلت : يا أبا سعيد : غُلبنا على كل شيء، نُغلب على صلاتنا ؟

فقال : يا عبد الله إنك لم تصنع شيئا إنك تعرض نفسك لهم ثم أتيته فقال لي مثل مقالته

قال – في ذكر قصته- : فقمت يوم الجمعة في المسجد و الحكم بن أيوب يخطب

فقلت : رحمك الله الصلاة!

قال : فلما قلت ذلك احتوشتني الرجال يتعاوروني فأخذوا بلحيتي وتلبيبتي وجعلوا يجئون بطني بنعال سيوفهم ، قال : ومضوا بي نحو المقصورة فما وصلت إليه حتى ظننت أنهم سيقتلوني دونه قال : ففتح لي باب المقصورة ، قال : فدخلت فقمت بين يدي الحكم وهو ساكت.

فقال – أي الحكم نائب الحجاج- : أمجنون أنت ؟ قال : وما كنا في صلاة[15]؟؟

فقلت – القائل يزيد- : أصلح الله الآمير هل من كلام أفضل من كتاب الله ؟

قال – الحكم- : لا

قلت : أصلح الله الأمير أرأيت لو أن رجلا نشر مصحفا يقرؤه غدوة إلى الليل أكان ذلك قاضيا عنه صلاته ؟

قال الحكم :والله إني لأحسبك مجنونا

قال - يزيد الضبي- : و أنس بن مالك جالس تحت منبره ساكت!

فقلت: يا أنس يا أبا حمزة أنشدك الله فقد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته أبمعروف قلت أم بمنكر ؟ أبحق قلت أم بباطل ؟

قال - يزيد - : فلا والله ما أجابني بكلمة!!![16]

قال له الحكم بن أيوب :

يا أنس قال : يقول : لبيك أصلحك الله

قال – الحكم- : وكان وقت الصلاة قد ذهب ؟؟؟

قال أنس : كان بقي من الشمس بقية!!

فقال : احبسوه – يقصد يزيد الضبي-

قال يزيد :فأقسم لك يا أبا الحسن - يعني للمعلى - لما لقيت من أصحابي كان أشد علي من مقامي، قال بعضهم : مراء، وقال بعضهم : مجنون

قال : وكتب الحكم (نائب الحجاج بالبصرة) إلى الحجاج (بواسط) : أن رجلا من بني ضبة قام يوم الجمعة قال : الصلاة! وأنا أخطب! وقد شهد الشهود العدول عندي أنه مجنون !

فكتب إليه الحجاج : إن كانت قامت الشهود العدول أنه مجنون فخل سبيله وإلا فاقطع يديه ورجليه واسمر عينيه واصلبه[17]..

قال : فشهدوا عند الحكم أني مجنون فخلى عني

قال المعلى عن يزيد الضبي :

ثم مات أخ لنا فتبعنا جنازته فصلينا عليه فلما دفن تنحيت في عصابة فذكرنا الله وذكرنا معادنا فإنا كذلك إذ رأينا نواصي الخيل والحراب فلما رآه أصحابي قاموا وتركوني وحدي فجاء الحكم حتى وقف علي فقال : ما كنتم تصنعون ؟

قلت : أصلح الله الأمير مات صاحب لنا فصلينا عليه ودفن فقعدنا نذكر ربنا ونذكر معادنا ونذكر ما صار إليه

قال : ما منعك أن تفر كما فروا ؟

قلت : أصلح الله الأمير أنا أبرأ من ذلك ساحة وآمن للأمير من أن أفر

قال : فسكت الحكم فقال عبد الملك بن المهلب - وكان على شرطته - تدري من هذا ؟ قال – الحكم - : من هذا ؟ قال – ابن المهلب- : هذا المتكلم يوم الجمعة

قال : فغضب الحكم وقال : أم إنك لجريء.. خذاه!

قال : فأخذت فضربني أربع مئة سوط فما دريت حين تركني من شدة ما ضربني

قال : وبعثني إلى واسط فكنت في ديماس (سجن)الحجاج حتى مات الحجاج..

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - (ج 3 / ص 310)

رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

تعليق ابن رجب الحنبلي:

وقد ذكر ابن رجب الحنبلي فوائد في كتابه : فتح الباري (6/ 192) تعليقاً على خبر يزيد الضبي هذا وحشد فيه كثيراً من الآثار الصحيحة حول تدخل بني أمية في القرن في تفاصيل الصلاة ومنعهم الناس من الصلاة لوقتها وغير ذلك.. وسأذكر قول ابن رجب وتعليقاته ورواياته مرقمة لتسهيل الفائدة ..فقال:

(فقد تبين بهذا السياق :

1- أن الصحابة والتابعين – يعني يومئذ- كانوا كلهم خائفين من ولاة السوء الظالمين،

2- وإنهم غير قادرين على الإنكار عليهم،

3- وأنه – أي الإنكار- غير نافع بالكلية[18]؛

4- فإنهم يقتلون من أنكر!!

5- ولا يرجعون عن تأخير الصلاة على عوائدهم الفاسدة[19]

6- وقد تكلم بعض علماء أهل الشام في زمن الوليد بن عبد الملك في ذلك ، وقال : أبعث نبيٌ بعد محمدٍ يعلمكم هذا - أو نحو ذلك ؟ فأخذ فأدخل الخضراء فكان آخر العهد به[20]!!

7- ولهذا لم يستطع أنس أن يجيب يزيد الضبي بشئ حين تكلم يزيد!

8- وإنما قال للحكم لما سأله: قد بقي من الشمس بقيةٌ [21]-!!

9- يريد : قد بقي من ميقات العصر بقيةٌ -، وهو كما قال-

10-لكن وقت الجمعة كان قد فات ، ولم يستطع أن يتكلم بذلك!

11- فلما دخل الحكم داره ، وأدخل معه أنساً ويزيد الضبي ، فسئل أنس في ذلك الوقت عن وقت صلاة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فأخبر أنه كان يعجل في البرد ، ويبرد في الحر ، ومراده -والله أعلم - : صلاة

الظهر ، وهذا هو الذي أمكن أنسا أن يقوله في ذلك الوقت ، ولم يمكنه الزيادة على ذلك !!

12-وأكثر العلماء على أن الجمعة لا يبرد بها بعد الزوال ، بل تعجل في أول الوقت ، وللشافعية في ذلك وجهان .

13-وقد كان الصحابة والتابعون مع أولئك الظلمة في جهدٍ جهيدٍ ، لا سيما في تأخير الصلاة عن ميقاتها ، وكانوا يصلون الجمعة في أخر وقت العصر ، فكان أكثر من يجيء إلى الجمعة يصلي الظهر والعصر في بيته ، ثم يجيء إلى المسجد تقية لهم ،

14- ومنهم من كان إذا ضاق وقت الصلاة وهو في المسجد أومأ بالصلاة خشية القتل

15-وكانوا – أي الأمراء- يُحلِّفون من دخل المسجد أنه ما صلى في بيته قبل أن يجيء[22]!!!

16- قال إبراهيم بن مهاجرٍ : كنت أنا وسعيد بن جبيرٍ وإبراهيم نصلي الظهر ، ثم نجلس فنتحدث والحجاج يخطب يوم الجمعة[23]، خرّجه أبو نعيمٍ الفضل بن دكين في ((كتاب الصلاة)) .

17-وخَّرج -أيضاً- بإسناده ، عن أبي بكر بن عتبة ، قال صليت إلى جنب أبي جحيفة ، فتمسى الحجاج بالصلاة ، فقام يصلي الجمعة ، ثم قام فصلى ركعتين ، ثم قال : يا أبا بكر ، أشهدك أنها الجمعة، وهذا غريبٌ ، يدل على أنه يصح أن يصلي الرجل الجمعة وحده..

18-وبإسناده : عن الأعمش ، عن إبراهيم وخيثمة ، أنهما كانا يصليان الظهر

والعصر ، ثم يأتيان الحجاج يوم الجمعة ، فيصليان معه.

19-وعن أبي وائل ، أنه كان يأمرهم أن يصلوا في بيوتهم ، ثم يأتوا الحجاج فيصلون معه الجمعة.

20-وعن محمد بن أبي إسماعيل ، قال : كنت في مسجد منى ، وصحف تقرأ للوليد – بن عبد الملك- ، فأخروا الصلاة : قال : فنظرت إلى سعيدٍ بن جبير وعطاء يومئان ، وهما قاعدان!!

21-وقد ذكر أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري في ((كتاب أدب السلطان)) باباً في تأخير الأمراء الصلاة ، خَّرج فيه الأحاديث المرفوعة ، والآثار الموقوفة في ذلك ، وقد سبق ذكر بعضها في ((أبواب: المواقيت)) .

22-وروى فيه بإسناده : أن أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعودٍ كان يروح إلى المسجد وقد صلى الظهر والعصر ، فيجلس فينتظر ، فيقول – للخطيب- : ماله قاتله الله ؟!

يصيح على منبره صياحاً ، وقد فاتته العصر ، ولم يصل الظهر بعد!

23-وبإسناده : عن عمرو بن هرم ، قال : كان أنس بن مالكٍ يصلي الظهر والعصر في بيته ، ثم يأتي الحجاج فيصلي معه الجمعة!!!

24-وبإسناده : عن عبد الله بن أبي زكريا ، أنه كان يجمع مع الوليد بن عبد الملك ما صلى الوليد في وقت الظهر الجمعة ، ويعتد بها جمعةً ، فإن أخرها عن وقت الظهر صلى الظهر في آخر وقت الظهر أربعاً إيماءً ، ثم صلى الجمعة معه ، وجعلها تطوعا ، فإن أخر العصر حتى يخرج وقتها صلاها في آخر وقتها ايماءً .

25-وبإسناده : عن حصينٍ ، قال : كان أبو وائل إذا أخر الحجاج الجمعة استقبل القبلة ، يومئ ايماءً : يتناعس!!

26-وبإسناده : عن جريرٍ ، قال : شهدت الجمعة مع ابن هبيرة ، فأخر الصلاة إلى قريب من العصر ، فرأيت الناس يخرجون ، فرأيت أبا حنيفة خرج ، فكأن شيخ يصيح في المسجد : لو كان الحجاج ما خرجوا ، وجعل فضيل بن غزوان ويقول : إنهم ، إنهم..- يتأسفون على سنة الحجاج[24]!-

27-وبإسناده : عن ابن سيرين ، أنه حضر الجمعة ، فأخر الأمير الصلاة ، فأدمى ظفره ، ثم قام فخرج ، وأخذته السياط حتى خَّرج من المسجد!

28-وعن عطاءٍ بن السائب : قال : رأيت سعيدٍ بن جبير وأبا البختري وأصحابه يومئون يوم الجمعة ، والحجاج يخطب ، وهم جلوسٌ !

29-وعن محمد بن إسماعيل ، قال : رأيت سعيد بن جبير وعطاء ، وأخر الوليد الجمعة والعصر ، فصلاهما جميعاً ، قال : فأومئا إيماءً ، ثم صليا معه بمنىً .

30-وبإسناده : عن حميدٍ ، أن الوليد بن عبد الملك خَّرج بمنىً بعد العصر ، فخطب حتى صارت الشمس على رؤوس الجبال ، فنزل فصلى الظهر ، ثم صلى العصر ، ثم صلى المغرب .

31-وروى بإسنادٍ له : عن سالم ، أنه ذكر أن الوليد قدم عليهم المدينة ، فما زال يخطب ويقرأ الليث حتى مضى وقت الجمعة ، ثم مضى وقت العصر ، فقال القاسم بن محمد لسالم:أما قمت فصليت ؟ قال : لا .قال : أفما أومأت ؟ قال: لا . وقال : خشيت أن يقال :رجل من آل عمر[25]!! ..

32-وروى بإسناده : عن عمارة بن زاذان : حدثني مكحولٌ ، قال : خطب الحجاج بمكة ، وأنا إلى جنب ابن عمر ، يحبس الناس بالصلاة ، فرفع ابن عمر راسه ، ونهض ، وقال : يا معشر المسلمين ، انهضوا إلى صلاتكم ، ونهض الناس ، ونزل الحجاج ، فلما صلى قال :ويحكم ، من هذا ؟ قالوا : ابن عمر[26]..

قال: أما والله لولا أن به لمماً لعاقبته .

33-وروى أبو نعيم في ((كتاب الصلاة)) :ثنا زهير ، عن جابر -وهو : الجعفي -، عن نافع ، قال : كان ابن عمر يصلي خلف الحجاج ، فلما اخرها ترك الصلاة معه .

34-وكان الحسن يأمر بالكف عن الإنكار عليهم[27]، ثم غلبه الأمر فأنكر على الحجاج ، وكان سبب اختفائه منه حتى مات الحجاج ، والحسن متوار عنه بالبصرة .

35-وقد روى أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب ((مناقب الحسن)) بإسناد له ، أن الحسن شهد الجمعة مع الحجاج ، فرقى الحجاج المنبر ، فأطال الخطبة حتى دخل في وقت العصر ، فقال الحسن : أما من رجل يقول : الصلاة جامعةٌ ؟ فقالَ رجل : يا أبا سعيدٍ ، تأمرنا أن نتكلم والإمام يخطب ؟ فقال : إنما أمرنا أن ننصت لهم فيما أخذوا من أمر ديننا ، فإذا أخذوا في أمر دنياهم أخذنا في أمر ديننا ، قوموا ، فقام الحسن وقام الناس لقيام الحسن ، فقطع الحجاج خطبته ، ونزل فصلى بهم ، فطلب الحجاج الحسن فلم يقدر عليه[28].

36-وهذا كله مما يدل على اجتماع السلف الصالح على أن تأخير الجمعة إلى دخول وقت العصر حرام لا مساغ له في الإسلام .

37-ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة صلى الجمعة في أول وقتها على ما كانت عليه السنة .

38-فروى إسماعيل بن عياش ، عن عمرو بن مهاجرٍ ، أن عمر بن عبد العزيز كان يصلي الجمعة في أول وقتها حين يفيء الفيء ذراعا ونحوه ، وذلك في الساعة السابعة .

38-وقال ابن عونٍ : كانوا يصلون الجمعة في خلافة عمر بن عبد العزيز والظل هنية

إذن فهؤلاء الأبطال من الضحايا من الصحابة والتابعين كانوا (شهداء) على عصرهم، يقولون لنا : لا ..كلما ظننا أن تاريخنا كان بخير..!ولم يقعوا فتنة في تصديق الفاجر، أوتكذيب المؤتمن.. فلابد أن نحيي ذكرهم ونعرف منهم أن الوضع لم يكن سليماً لا على المستوى السياسي ولا الثقافي .. وبهذا نستطيع أن نبني على تضحياتهم ما كانوا يأملون من إصلاح، وليس المساهمة في قتلهم قتلاً أبلغ وأقبح من قتل السلطة لهم..

إذن لابد أن يندرس العلم ويظهر الجهل وتتعرض هذه المباديء – مباديء الإسلام الكبرى- في ظل قتل وإذلال هؤلاء العلماء من الصحابة والتابعين[29]، وهذا يمهد لتشويه كبير وتشويش مقصود من السلطة الحاكمة وذيولها الدينية والاجتماعية، وذلك أثناء بحث السلطة الحثيث عن تدعيم الشرعية .. ولو بتأويل أو تعطيل آيات الكتاب (تلك الآيات الإنسانية والمباديء العامة)، أو وضع الأحاديث ونسبتها لنبي الإسلام..أو إعطاء بعض الأجيال والفقهاء شرعية النص .. ليكون البديل الضروري المستعد للتسويغ والتبرير عند فشل تأويل الكتاب أو تعثر نسبة حديث .. ولن تعدم السلطة في أقل الأحوال من يقول (هذا زمان شر والتسديد بالممكن ونصيحة السلطان خير من مفارقته، والاعتزال عنه..) ثم لا يستطيع هذا الفقيه الطيب أن يقول الحق القليل إلا مشوباً بتسويغ باطل كبير.. ثم يصبح هذا الباطل جزءاً من الحق.. ثم يغلب فيصبح الباطل هو الحق الصراح..ومن عارضه فقد عارض الدين! ..وهكذا تتحدر الأباطيل الصغيرة من رؤوس الحقائق الكبيرة.. وحتى لا تتكسر هذه الأباطيل أثناء التحدر وتصيب شظاياها الأبرياء، يضطر الحق (العجوز)أن ينحني ويدني رأسه لينزل هذا الطفل (الشرير) على الأرض! ثم لينمو ويشب ويحل مكان الشيخ الجليل!

المعاني الكبيرة تتعرض للتقزيم والتصميم..

والبعض قد يكابر ويزعم أننا ما زلنا خير الأمم، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونؤمن بالله! مع علمه بما اخترناه من صغائر المعروف والمنكر، وبعد علمه أن الإيمان بالله أصبح عندنا مجرد الاعتقاد بوجودالله مع الانشغال بالتنازع في صفاته، أما المنكر الأكبر (الكذب والظلم وانتهاك حقوق الإنسان ومحاربة العقل ، وترك التدبر، وقول الزور وشهادة الزور)، فلم يصبح النهي عن هذا منسياً فحسب؛ وإنما أصبح أمراً واقعاً ومبرراً بل ومأموراً في الفتاوى والأحكام[30]، وكذلك المعروف الأكبر (قول الحق، والعدل، واحترام الحقوق..) أصبح أمراً مستهجناً بل ومنهياً عنه في السر والإعلان..والمؤلم لكل باحث، أنه لا يجد هذا المباديء العظيمة إلا في القرآن غير المفسر، ثم اختفت في فصول وأبواب

كتب الفقه والحديث.. ثم بوّب أهل العقائد على الضد من ذلك..فانتشرت أبواب تشريع القتل والتكفير والكراهية والبراءة واللعن والبغضاء والتنازع... في كتب وفصول وأبواب كتب العقائد المذهبية واستطاعت هذه الكتب أن تصيغ العقلية الإسلامية صياغة مخيفة بعيدة كل البعد عن خطوط القرآن العامة ومبادئه الصريحة ..وليس أكثر ظهوراً من أمر القرآن الكريم بأقامة الشهادة لله، وقول الحق ولو على الوالدين أو الأقربين.. هذه المعاني العظيمة ذهبت أدراج الرياح بفضل السلطتين السياسة والدينية، والتعصب الأحمق للمصالح الآنية الضيقة والخصومات الصغيرة .. والضحية هو الإسلام فقط!... وهذا عبر القرون الأربعة عشر باستثناء فترات ولمحات وإبداعات قليلة هنا وهناك.. في هذا الزمن أو ذاك..

ماذا عملت الهمم الصغرى في المباديء الكبرى؟!

لصغر الهمم والعقول والنيات أخذنا الأوامر الصغرى والنواهي الصغرى فقط، وتمت الدندنة حولها وإشغال الأمة في الاختلاف فيها، مع إهمال الأمور الكبرى وشمولها وانطلاقها ودورها الإيجابي في بناء هذا الإنسان أولاً بناء يجبره على التغيير والإصلاح والإيجابية والإنتاج ..ظننا أن خلاص المسلمين هو في فعل سلفهم.. وليس في الاستجابة لأوامر ربهم،.. والثناء المطلق على السلف من قول الزور وشهادة الزور .. فإنه الثناء إذا زاد عن حده، أو تم تدوين الحسنات وإهمال السيئات كان هذا تزويراً ..وبالتالي كان شهادة زور.. لأنه ما من عاقل يريد النصيحة لله ورسوله والمؤمنين يقوم بهذه العمليات من التزوير للحقائق... سواء بإنكار فضيلة أو طمس رذيلة.. كل هذا قول بالزور وشهادة زور..

الشهادة لله فريضة قرآنية مجهولة!

وهنا كان يجب أن نتذكر فريضة قرآنية أهدتها السلطلة وذيولها، إنها وظيفة (الشهادة لله).. .. هذه من أكبر الوظائف التي تم إهمالها بتوجيهها وحصرها في أضيق معنى وأبعده عن التأثير .. إذ تم حصر الشهادة في

إثبات معاصي الأفراد والجماعات، واختلاف الأسر والعائلات، وكتابة المحاضر والسجلات..

بل حتى حصرها في المقتول في سبيل الله أقل ما يقال عن هذا الحصر أنه غير دقيق، وأنه ذهب للمعنى الأصغر، وترك المعنى الأكبر، ولا أستبعد أن يكون للسلطة دور في هذا الحصر.. ليجعلوا من يقتل في سبيل معاوية وعبدالملك شهيداً في سبيل الله لا في سبيلهم.. بل أكبر من هذا أن القرآن الكريم لم يورد الشهادة قط في المقتول في سبيل الله، حتى في حق من يقتل مع النبي (ص)، فلم يعبر القرآن عن المقتول في سبيل الله بـ(الشهيد)، وإنما فيه (المقتول في سبيل الله) أو (من قضى نحبه) وما أشبه ذلك..كل معاني الشهادة في القرآن الكريم تدور حول (الشهادة بالحق وقول الحق)، بل ليس من بشر أعظم عند الله من رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قال في حقه:

(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل) ولم يقل (أفإن مات أواستشهد) .. فهورسول الله، لن يفر من زحف، ولن تدركه ضلالة..

وكذلك قال عز وجل في المقتولين في سبيل الله (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً) ولم يقل (استشهدوا) .. مع أن الآية قد أثبتت لهم صدق النية وكمال التضحية..

وكذا قال تعالى : (فمنهم من قضى نحبه ..) ولم يقل (من استشهد) .. وهكذا ..

كل الآيات الكريمة في الشهادة والشهداء والشاهدين لها معنى واحد، يتلخص في اتخاذ وتبني (الموقف الحق)بعدل وإنصاف.. سواء الموقف الحق من سلطة ظالمة أو معارضة هوجاء أو من وضع علمي أو سياسي أواجتماعي .. بغض النظر كان في الموقف موت في سبيل الله أو موت على الفراش، فليست الشهادة – على الأقل – محصورة في الجانب العسكري، ولا في المبطون والمطعون والحريق والغريق ..هذه كلها

شهادات صغرى، ..الشهادة الكبرى القرآنية، هي شهادة الموقف الحق والقول الحق لكن لعل الدولة العسكرية للمسلمين أرادت أن تزيح من طريقها هذا المفهوم العظيم للشهادة- تلك الشهادة التي يجب أن تكون لله- وتجييره لصالحها، فنسبت للشرع أحاديث وكثفت الروايات التي تجعل معنى (الشهادة) محصوراً في العمل العسكري لصالح السلطان..لحاجة الدولة العسكرية للتوسع وجلب المصالح المادية وترغيب الناس في خدمتها وربما أحياناً للترغيب في إعانتها على المحرم، فأكثر معارك السلطة الظالمة كانت مع الثوار المسلمين الذين يأبون ممارسات السلطة وتحريفها لدين الإسلام[31]..

شهادات الصحابة على إحداثهم بعده..

ومن الشهادات الجريئة شهادة الصحابي الكبير البراء بن عازب -كما في صحيح البخاري – بعد أن أثنى عليه بعض التابعين لفضل صحبته للنبي (ص) فقال : لا تدري ما أحدثنا بعده)..

ونص الشهادة في صحيح البخاري [جزء 4 - صفحة 1529] من طريق العلاء بن المسيب عن أبيه قال: لقيت البراء بن عازب رضي الله عنهما، فقلت : طوبى لك صحبت النبي صلى الله عليه وسلم وبايعته تحت الشجرة/ فقال يا ابن أخي إنك لا تدري ما أحدثنا بعده)! ..

أقول: ومثل هذه الشهادات ليست للتواضع كما فسرها الغلاة وأفسدوها.. وإنما تدل على نقص ما حدث بعد النبي 0ص)، وأن الأمور الخيرة من عدل وشهادة بالحق وخير.. بدأت في التناقص..ولو أن المسلمين استفادوا من هذه الشهادات ووظفها توظيفاً صحيحاً بتدارك ما فسد وإصلاحه بدلاً من الثناء المطلق على القرن الأول لأمكن تلافي الكثير من التدهور الذي أتى على كل الإسلام بنهاية القرن الأول ولم يبق معهم من الإسلام إلا الصلاة جماعة في غير وقتها أو الأذان.. ولبقي عندنا نبي واحد فقط، وليس مئات الأنبياء المتحاربين المتضادين.. ولكن دخول الخصومات الصغيرة.. أفسد فائدة هذه الشهادات الكبيرة.. فضاع التاريخ وضاع معه فهم الدين..

شهادات الصحابة والتابعين على فساد القرن الأول!:

شهادات الصحابة والتابعين على فساد القرن الأول، وضياع الإسلام، هو شهادة على فساد السلطة وأثرها في الناس.. وليس شهادة على المظلومين – الذين هم نحو مليون شهيد- ونحن لن نأخذ شهاداتهم على فساد الحكم وضياع العدالة وشيوع الظلم وانتهاء الشورى... فهذا لا تكاد رواياته تحصر ..وفيها ما يحب الغلاة الجدل فيه.. ويحتاج لمقدات تربط أهل الغلو في مرابطهم.. وإنما سنختار شهادات في تغيير السلطة في القرن الأول لأركان الإسلام العبادية التي لا دخل لها في السياسة .. ولا عذر لهم في دعوى أن الزمن تغير .. ولا غير ذلك من الأعذار التي يعتذر بها عنهم غلاة السلفية والنواصب..

ثم سنختار من هذه الأركان .. ركن الصلاة.. فهو أيضاً من أبعد الأركان عن السلطة المباشرة.. فلا مال فيه (زكاة) ولا أمير (حج) و لا إثبات رؤية هلال ..

ومن الشهادات العظيمة على فساد السلطة وظلمها وتحريفها أو تضييعها للعبادات الدينية فضلاً عما له صلة مباشرة بالحكم من عدل وحرية رأي ومال عام .. الخ :

1- شهادة الصحابي أنس بن مالك على تضييع الصلاة في عهد بني أمية:

وأنس بن مالك خدم النبي (ص) صغيراً وصحبه شاباً وصحب من بعده من الخلفاء وكان من الخاصين بأبي بكر، استعمله على البحرين وعزله عمر ..و قد عمر كثيراً حتى مات قبل نهاية القرن الأول (93هـ) وقد تقرب من بني أمية إلى حد ما، فقد كان يضطر- خوفاً - أن يعمل للحجاج وأن يجامل أمير البصرة ،.. وكان الحجاج قد أذله وأهانه بالختم على عنقه أو يده .. وكاد أن يقتله لروايته أحاديث في فضل علي.. وأنس بن مالك شاهد غير متهم على تحريف بني أمية للدين في كل شيء، فقد شهد أنه لا يعهد شيئاً كان على عهد النبي (ص) إلا الشهادتين، حتى الصلاة قد ضيعوها وجمعوا فيها الجمعة مع المغرب! ونص الشهادة الوارد في :

(صحيح البخاري [جزء 1 - صفحة 198] من طريق الزهري قال:دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت ما يبكيك ؟ فقال لا أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضعيت) فهذا نموذج من الشهادة لله.. أفصح عنها أنس بن مالك ..مع أنه تخلى عنها في فترات من حياته كما سيأتي في قصة الصحابي يزيد بن نعامة الضبي مع نائب الحجاج على البصرة.. وسكوت أنس يومئذٍ خوفاً من الأمير.. وكذلك قوله لأبي بكرة أن زياد مجتهد وعتاب أبي بكرة له .. وسكوته عن الشهادة للإمام علي بحديث الغدير ثم ندمه وتحديثه بفضائل علي بعد موته .. فالرجل تائب .. وشاهد صادق.. وانظر شرح الحافظ ابن حجر لهذا الحديث في فتح الباري..فقد ذكر من تأخيرهم للصلاة حتى يخرج وقتها أموراً عجيبة ..وإذا كانت الدولة الأموية قد تدخلت في أعظم أركان الإسلام وأفسدت فيها ما أفسدت فكيف بأمور الحكم العامة ..؟!

- شهادة مالك بن أبي عامر الأصبحي – جد الإمام مالك- (ت 74هـ)

روى الإمام مالك في الموطأ- [جزء 3 - صفحة 477] رواية الشيباني-

(أخبرني عمي أبو سهيل قال : سمعت أبي يقول : ما أعرف شيئا مما كان الناس عليه إلا النداء بالصلاة..)

قلت: فقط!! وابن أبي عامر هذا ثقة من رجال الجماعة أدرك عمر وسمع منه .. وابنه أبو سهيل (واسمه : نافع ثقة روى له الجماعة مات نحو 140هـ)..والمختصر المفيد أن ابن أبي عامر جد الإمام مالك شاهد على عصره، وهو ليس خارجياً ولا شيعياً –بل هو في محل ما مقرب من القوم- يشهد أن عهد بني أمية كان قد غير مظاهر الدين وجواهره إلا النداء للصلاة (الأذان) وبنو أمية من أحرص الناس على صلاة الجماعة حرصاً سياسياً حتى يوصلوا إليهم الدعاية السياسية ويراقبوا تحركات المعارضة .. فلم لم يحضر صلاة الجماعة فمعنى هذا أنه إما ثائر أو مختفٍ لأمر ما.. ولذلك اخترعوا أحاديث تسبيح دماء المتخلف عن صلاة الجماعة وأنه منافق! .. مع أنها سنة أو فرض كفاية عند الجمهور .. ولم يأخذ الجهور

بتلك الأحاديث التي تخالف الأصول العامة للإسلام، إلى وجود الأدلة المعارضة الأقوى..

- شهادة الصحابي أبي الدرداء الأنصاري..(ت 32هـ) على التغير بالشام!

وأبو الدرداء الصحابي المشهور، شاهد على أن الشام هي أول الأمصار تغييراً للدين وأحكامه، فقد عاش في عهد ولاية معاوية على الشام، أيام عثمان بن عفان، وكان الثوار على عثمان يرون بأنفسهم تغيير الولاة لسنن الإسلام سواء في الحكم والعدل والمال العام حتى وصل هؤلاء الولاة لأركان الإسلام الكبرى، وكان عثمان رضي الله عنه متردداً بين تنفيذ إصلاحات إدارية بعزل هؤلاء الظلمة، وبين التمسك بهم، وطال تردده ست سنوات! مما أدى للسخط عليه ثم الثورة، وجريمة قتله رضي الله عنه وسامحه، أما الشهادة فقد روى البخاري - صحيح البخاري [جزء 1 - صفحة 232] - عن أم الدرداء قالت: (دخل علي أبو الدرداء وهو مغضب!

فقلت: ما أغضبك ؟

فقال: والله ما أعرف من أمة محمد صلى الله عليه وسلم شيئا إلا أنهم يصلون جميعاً)..

قلت: هذا أبو الدراء يقسم بالله.. فإن كان صادقاً.. فيكون معاوية ومعه أهل الشام قد استطاعوا أن يغيروا أحكام الإسلام في العدل والمال العام وغير ذلك حتى ما بقي من الإسلام إلا الصلاة جميعاً... وإن كان كاذباً فهذا يبطل نظرية عدالة الصحابة الكبار فضلاً عن الطلقاء .. وأنا على يقين أنه صادق لأنه ليس الشاهد الوحيد..

- شهادة الصحابي الكبير عمران بن حصين (52هـ) على التغير في البصرة :

وهذا صحابي آخر يشهد على تغير المور من أيام عثمان بن عفان، في الولايات البعيدة عن مركز الخلافة بسبب ولاة عثمان الذين كانوا محل سخط من المسلمين.. وكان عثمان قد غلب على أمره من هؤلاء الولاة

وحاشيته من بطانة السوء كمروان بن الحكم وأمثاله.. فلما وصل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للبصرة وبعد انتهاء حرب الجمل، صلى بهم الإمام علي في المسجد الأعظم صلاة رسول الله (ص)فتذكر بها عمران بن حصين صلاة رسول الله .. وكان قد غيرها ولاة عثمان ..سواء بتأخيرها عن وقتها حتى يخرج الوقت.. أو بنقصها بعض البدهيات كالتكبير ونحوه..

يقول عمران في شهادته وفق ما رواه البخاري - صحيح البخاري [جزء 1 - صفحة 271] - من طريق مطرف بن عبد الله بن الشخير عن عمران بن حصين قال: (صلى مع علي رضي الله عنه في البصرة، فقال (عمران): لقد ذكّرنا هذا الرجل صلاة كنا نصليها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم... الحديث)

قلت: والغريب ليس محافظة علي بن أبي طالب على صفة صلاة رسول الله (ص) إنما الغريب أن السلطة استطاعت أن تنسيها مثل الصحابي الكبير عمران بن حصين.. فكيف بدهماء الناس.. فأثر السلطة كبير جداً ولا يعرف أثره المغفلون من الصالحين..

شهادة أبي موسى الأشعري على التغير في الكوفة!:

وهذا أبو موسى الأشعري، المقرب من عثمان، وأحد ولاته، كان قد ألف تغيير ولاة عثمان قبله للصلاة.. حتى صلى خلف علي بن أبي طالب بعد قدومه الكوفة في خلافته فتذكر بصلاة علي صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما تذكر عمران بن حصين في البصرة.. روى الإمام أحمد - مسند أحمد بن حنبل [جزء 4 - صفحة 400]- بسند صحيح ، من طريق الأسود بن يزيد النخعي قال:

قال أبو موسى الأشعري : (لقد ذكرنا علي رضي الله تعالى عنه صلاة صليناها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما ان نكون نسيناها واما ان نكون تركناها عمدا يكبر كلما ركع وإذا سجد وإذا رفع...)

عودة لمعنى الشهادة:

وإن صح أن هذا الإيهام من إنتاج السلطة، فهو يدل على قدرتها الهائلة على تغيير المصطلحات والمعاني القرآنية، فالشهادة بهذا المعنى الناقص الذي أنتجته السلطة أصبح محل إجماع بين المسلمين! مع نسيان تام للشهادة الشاملة العامة التي تحيي الأمة ويستطيع أن ينالها أي فرد وهو على فراشه، ألا وهي الشهادة لله، بالحق، والعدل والإنصاف، وترك الزور وقول الزور (كل عمل تزويي يضلل الناس)، والغريب أن هذا المعنى أكثر حضوراً في الآيات الكريمة أكثر تأكيداً عليه، والقرآن ناطق بهذه الشهادة وفضلها وعظمتها بما لا لبس فيه لأحد..[32]...

وعلى هذا تصبح الشهادة بالمعنى القرآني (الشهادة بالحق والعدل والجهر بذلك واجتنب قول الزور وشهادة الزور) هي أكبر فريضة إسلامية مهدرة ومنسية بل ومحاربة... بل حتى على المستوى النظري لا يكاد يعترف بفرضيتها أحد، ولو أنقل لكم ما ذكرته كتب الفقه كلها عن الشهادة لرأيتم النقص الكبير، وقضم المعنى الشامل الذي أراده الله، وربما لو قام المسلمون بفريضة الشهادة لله، ولو تذكرو أن من شروط البيعة على الإسلام (أن نقول الحق أينما كنا لا نخشى في الله لومة لائم) ربما لو فعلوا هذا، لما استطاعت السلطة أن تنتج لنا إسلاماً على مقياس معاوية وعبد الملك والمتوكل، ولما استطاع رجال الدين أن يحرفوا دين الإسلام عن مساره الطبيعي العام، وليس المسار الضيق المذهبي الذي أوصلونا إليه.. ربما لو قمنا بهذا لما وصلنا إلى هذا الانهيار المروع للمباديء القرآنية الأساسية من نفوسنا كالعدل والصدق وقول الحق إينما كنا لا نخشى حرقة سوط ولا قطع لسان... الخ.

المعنى القرآني للشهادة:

إن معنى الشهادة في القرآن الكريم معنى كبير جداً .. يتجاوز الحيز الصغير الذي حشره فيه الفقهاء.. انظروا الآيات الكريمة التالية وتأملوها وأنشد الله كل قاريء أن يتدبرها بهدوء ثم ليشهد لله وكفى بالله شهيداً:

* ـ قال جلّ ذكره : (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيداً)[33]...

* - وقال تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء)[34]..

* - وقال تعالى: (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله)[35]!

* - وقال تعالى: (والذين هم بشهاداتهم قائمون)[36]..

* - وقال سبحانه: (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه)[37]..

* - وقال عز وجل: (ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم)[38]..

* - وقال جل ذكره: (ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها)[39]

* - وقال سبحانه: (ولا يأب الشهداء إذا ما دُعُوا) [40]

* - وقال تعالى: (لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء)؟..[41]

* - وقال : (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء)[42]..

* - وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين)[43]

*- وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا)[44]

*- وقال تعالى: (.. بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء، فلا تخشوا الناس واخشونِ، ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً..)[45]..

*- وقال تعالى: (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً، أولئك يعرضون على ربهم، ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين).[46].

* - وقال عز وجل: (ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس)[47]

* - وقال جل ذكره: (وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون)[48]

*- وقال عز من قائل : (قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم)[49]..

* - وقال سبحانه: (والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم)[50]

*- وقال تعالى: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً)[51]..

*- وقال :(ما قلت لهم إلا ما أمرتني به، أن اعبدوا الله ربي وربكم، وكنتُ عليهم شهيداً ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شيء شهيد)[52]

* - وقال العزيز الحكيم: (ونزعنا من كل أمةشهيداً فقلنا هاتوا برهانكم)[53]...

أقول: اللهم إنك تعلم ضعف قلوبنا، وكثرة ذنوبنا، اللهم تفضل علينا واكتبنا مع الشاهدين، واجعلنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.. يوم يقوم الأشهاد، يوم تقول أنت: (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم)..!

مسار القرآن ومسار كتب الحديث:

كل كتب الحديث – مع كامل الاحترام والدعاء لأصحابها – أحصوا في كتبهم وأبوابهم كل الموضوعات التي وردت فيها أحاديث .. من كتاب الإيمان والصلاة والوضوء والطهارة ..إلى كتب المساقاة والمزارعة والبيوع.. إلا أننا لا نجد في تلك الكتب والأبواب، كتاب العدل ، أو كتاب الشورى، أو باب: قول كلمة الحق ، أو باب : إقامة الشهادة لله وحرمة

كتمانها... أو باب: حقوق الإنسان، أو باب: لا إكراه في الدين، أو باب: تحريم عبادة العلماء وذوي السلطان، ..الخ[54]..

بل ننسى أن من أهم شروط البيعة على الإسلام : (أن نقول الحق أينما كنا لا نخشى في الله لومة لائم)[55]!

السبل التي طرقتها السلطة في محاربة الشهادة بمعناها القرآني

إن من أكبر سبل محاربة هذه الفريضة القرآنية (فريضة الشهادة) دعوى السلطة وذيولها عبر التاريخ، دعوى محارب الإجماع،أواتباع غير سبيل المؤمنين،أو أن هذا المفهوم تعارضه أحاديث، أولم يقل بها العلماء، ...وغير ذلك من سب شتى هدفها إجهاض هذا المفهوم القرآني وهذه الفريضة المزعجة لكل ظالم، هذه الفريضة القرآنية العظيمة التي قدم فيها كبار أهل البيت وخيارالصحابة والتابعين أروع الأمثلة..

القرن الأول أفضل قرن قدم التضحيات في سبيل إقامة الشهادة لله..

من حيث الإجمال – وفي الملحق التفصيل- نقول إن أكثر القرون التي قدمت هذه الضحايا والتضحيات هو القرن الأول، ثم الثاني ثم الثالث... وقائمة من ذهبت أرواحهم لقولهم الحق وموقفهم من الظلم .. في القرن الأول لم يبلغه قرن آخر على الإطلاق[56].... وعلى هذا فأفضلية القرون الثلاثة هي أفضلية حقيقية، لكن على المعنى الذي ذهب إليه الشهداء المظلومون .. وليس على المعنى الذي ذهب إليه الظالمون وذيولهم العلمية.. فإذا كان معاوية وابنه وزياد وابنه والحجاج وقرابته وسمرة بن جندب .. قد قتلوا من أصحاب هذه الشهادة ما يصل إلى نحو المليون مسلم ظلماً .. فإننا لا نستطيع إلا أن ننحني إجلالاً للقرن الأول.. فهو أكثر القرون عطاء في سبيل إقامة شهادة الحق..ولولا هؤلاء الضحايا – بعد فضل الله- لما وصلنا من الإسلام شيء.... والمشككون في هذه الأعداد إذا اطردوا لم نعاتبهم.. أعني إذا كانمنهجهم عاماً في التشكيك في عدد من حج مع النبي (ص) ومن شهد تبوك..وهكذا.. أما الطرف الآخر الذي يقر أنه حج مع النبي (ص) 120 ألفاً وكلهم ممن أسلم ما بين المدينة إلى مكة ولا

يشككون في هذا الرقم.. ثم يأتون ليشككوا في عدد من قتلهم سمرة ومعاوية وزياد والحجاج وبسر ومسرف وأمثالهم في المدينة (الحرة) ومكة، و في البصرة والكوفة والجماجم، و في مصر واليمن وسهل الفرات، بعدتوالد المسلمون أضعافاً، وبعد أن دخل في الإسلام أمم من الشعوب، وبعد أن علمنا أن مثل الحجاج وزياد وابنه يأخذون المرأة والشيخ والطفل بل القبيلة بفعل بثورة أحد أفرادها أو هروبه ... فهذا تناقض في المنهج ..فإذا اعتبرنا أن كل المسلمين في الحجاز ، قد حجوا مع النبي (ص) وهم الـ (120ألفاً)..وهم فقط قريش والأنصار وأكثر مزينة وخزاعة..مع قليل من القبائل المجاورة.. وقدخلّف الرجل منهم خلفه عائلة كاملة ..فمتوسط عائلة الحاج الواحد في الحد الأدنى زوجة واحدة وأربعة أبناء – مع أن بعضهم له أكثر من زوجة مع أبناء بالعشرات- فهذا يعني أن سكان الحجاز فقط عام 10هـ كانوا ستمائة ألف أو يزيدون..فكيف باليمن وحضرموت وعمان ونجدوالبحرين (الساحل الشرقي للجزيرة) ..وبقية الساحل الغربي (الأزد وعك والأشعرين) وجل غطفان وهوازن وبني سليم بن منصور وبني عامر...الخ ، مع القبائل الشمالية كلخم وجذام وقضاعة و بعض جهينة وأكثر طيء.. فهؤلاء الغائبون مع عوائلهم ليس أقل من أن يكونوا النصف.. فمجموع سكان الجزيرة عند وفاة النبي (ص) لن يقل عن المليون في أقل الاحتمالات..فكيف مع انفتاح الدنيا وإسلام الشعوب والتوالد مع وفرة السبي (مع إيماننا بعدم شرعيته = فإما مناً بعد وإما فداء) ..هذا أنس بن مالك كان فرداً ولم ينته القرن الأول إلا وعائلته نحو المئتين! فهذا المليون إذا صار للواحد منهم أربعة أولاد في عشر سنوات فهذا يعني أن يصبحوا في نهاية عهد عمر خمسة ملايين..فكيف بعهد عثمان وعلي وبقية القرن الأول... فإذا قتل بنو أمية مليوناً لن يكون مستغرباً.. بل إن من قتلهم سمرة بن جندب وزياد وابنه في البصرة وحدها في عهد معاوية فقط بلغ سبعين ألفاً في البصرة(العثمانية الهوى)فقط، وبلا محاكمة.. فكيف ببقية البلدان وخاصة الشيعية أوالخارجية منها؟ وروى هشام بن حسان – العثماني الهوى-أنهم أحصوا ما قتله الحجاج صبراً فبلغ120 ألفاً) غير من قتلهم في الجماجم وغيرها، واهل الشام لبثوا في

المدينة ثلاثة أيام يقتلون وينهبون ويفجرون..ومذابح بسر في همدان والحجاز،وقتل زياد لأصحاب علي تحت كل حجر ومدر، وقتل ابنه لأصحاب الحسين ومذبحة كربلاء ، ومذبحة أهل بدر والرضوان بصفين مع علي، والقضاء على جيش التوابين وزعيمهم الصحابي سليمان بن صرد الخزاعي بعين الوردة....فهذه أعداد هائلة بلا شك.. مع أن الذهبي الشامي ذي الهوى الأموي الخفيف قد عد الحجاج ممن قتل ألف ألف وحده.. وكذلك هولاكو وأبو مسلم.. فإذا كان مجموع ما قتل هولاكو في القرن السابع هو مجموع ما قتله والٍ واحد من ولاة بني أمية في القرن الأول في عشرين سنة فقط.. فهذا يعني أن ظلمبني أمية حق خير القرون قد بلغ مبلغاً لا يعلمه إلا الشهداء بالحق.. فأكثر الناس يسترون هذه العظائم..ويعني أن تراثنا وفقهنا وحديثنا وعقائدنا لن يسلم عندالمرور فوق هذه الجثث من التلوث بها..

فيُحارب (الشاهد لله) تارة بمخالفة الإجماع واتباع غير سبيل المؤمنين، مع أن الإجماع غير متحقق، ومع علمهم بأن من ادعى الإجماع فقدكذب، إلا في الأمور الظاهرة التي فيها نصوص صريحة قطعية يسلم بها الجميع، وتارة بمخالفة الشرع (الذي زوروا في حقه الدعوة لسلبية المجتمع)، وتارة بمخالفة سلطان الله في الأرض (وسلطان الله الحق ليس إلا العدل، ليس إلا كتاب الله وسنة رسوله)، ويحاربون هذه الفريضة القرآنية بالسنة النبوية، والسنة بريئة من محاربة القرآن الكريم، بل هم من يحارب القرآن والسنة.. وكل حديث نصبوه لرد آية كريمة فهو حديث خرافة.. سنة النبي (ص) محل اعتراف وإجلال من جميع المسلمين، فنصوص الفرق الإسلامية كلها على الاعتراف بالسنة، وحسن الظن بالجميع أنهم يقصدون سنة محمد بن عبد الله (ص)..

إلا أن ما نراه اليوم في الفكر السلفي خاصة والذي نحن - السلفيين وأشباههم- مسئولون عنه أمام الله قبل غيرنا، في تصحيحه ونقده وتقويمه .. إن ما نراه في هذا الفكر من ضيق بالآخر واحتقار له وشغف بأذيته ليس وليد اليوم.. إنه صناعة قديمة..نجدها في كتبنا .. والا نبريء الآخرين كما أسلفنا، لكن على كل مذهب أن يتقي الله ويصلح ما استطاع

إصلاحه(والأقربون أولى بالمعروف) وبالإصلاح وبالتواصي بالحق والصبر عليه رغم الأذى ، من شك أو اتهام بالباطل أو حتى فتوى باستباحة دم ونحوه..

إذن فهذا المرض في عقولنا وقلوبنا من الهوى والتعصب والظلم والحسد وسوء الظن وتزكية النفس ...الخ..إن لم يتعاهدها المسلم بالمراقبة والتنقية - أولاً بأول- استحكمت وأصبحت نفساً مكان النفس... نفساً صلبة أمام كل تغير نحو الفضيلة.. صخرة تتحطم عليها كل النصائح والأوامر القرآنية الآمرة المسلم بنهي النفس عن الهوى .. وترك تزكيتها.. واستصحاب أن الإنسان بطبيعته ظلوم جهول ... وهذا الاستعداد النفسي والقلبي للظلم والجهل والجزع والهلع هو ابتلاء واختبار من الله عز وجل؛ هل يستطيع الإنسان الخروج من ظلمات النفس إلى نور الوحي، ومن مظالم الهوى إلى عدل الإنصاف.. ومن عبادة الذات والبيئة والمذهب إلى عبادة الله وحده...

عبادة الله ليست فقط في ترك عبادة الأصنام، هناك الكثير من الأوثان المعبودة في أكثر قلوب المسلمين.. عبادة الرأي العام، وعبادة السياسة، وعبادة العلماء ، وعبادة الطائفة والمذهب، وعبادة الأنس بالجهل.. هذه عبادات أصعب من عبادة الأصنام، لأن صاحبها لا يعلم أنه يعبد غير الله.. صاحبها يتقرب بعبادة غير الله إلى الله، يتقرب إلى الله بالظلم والكذب والتعصب والحسد والبغض والتنابز بالألقاب وحب النزاع والتفرق، ...الخ.

وهناك أنهار تسقي التعصب والظلم على مر العصور.. أكبرها وأغزرها وأعظمها وأظلمها هو(السياسة = السلطة) وثاني الأنهار (هو المال)، ولو قرأ المثقفون في تاريخنا ماذا عمل هذان الشيطانان لعرفوا حجم هذا التأثير على الناس..

هذا الثنائي ينتج بعد دماء ودموع (رأياً عاماً)...

يسميه الناس فيما بعد (مذهباً) ..

هذا الرأي العام الذي تم تشكيله لم يكن مذهباً...

كان رأياً سياسياً ومصلحياً لأصحاب القوة

تحول إلى رأي عام بفعل القوة، لا البرهان ولا القناعة،

ثم هذا(المذهب) الذي أنشأه أصحاب السلطة بمالهم وعلمائهم وشعرائهم وعوامهم ومغفليهم وعامتهم وخاصتهم ودولهم وصوتهم وسوطهم...

أصبح ديناً جديداً..

يعرف منشؤه أنه ليس لله.. ولا إلى الله..

لكن الأتباع المغفلين - وهم العامة والأكثرية- لا يعرفون..

لأنهم أيام التشكل لا يتساءلون إلا قليلاً، فيتم بهم تثبيت هذا الرأي العام، ..

كما أن الطامعين – ولو كانوا أذكياء- لا يحرصون أيام التشكل إلا على مصالحهم الخاصة..

ثم مع مرور الأيام، وكرور الأعوام خلف الأعوام، يزداد المنضمون لهذا الثنائي المدمر..

فتنشأ الأجيال اللاحقة على دين غير دين نبيها صلى الله عليه وآله وسلم

..أجيال عجيبة تحيي ما أماته القرآن، وتميت ما أحياه القرآن..

وهنا تستحكم الأهواء..ويأتي أصحابها صماً بكماً عمياناً، فهم لا يرجعون إلى عقل ولا برهان ولا ضمير ..

أجيال مع القرآن وضده، مع الرسول وضده، مع كل فضيلة نظرياً وضدها عملياً، ... تنشأ هذه الأجيال عابدة لغير الله ظانة أن هذه عبادة لله.. ويغفر الله لمن شاء..

هذان النهران هما النيل والفرات لكل بلايا المسلمين.....

منذ أن فارقهم النبي (ص) إلى يومنا هذا...

السياسة تؤدي لزرع المذاهب وإنشائها..

فيطاوعها أهل الدنيا والغفلة ..

ثم ينشأ الأجيال اللاحقة متدينين بما ورثوه عن الآباء والأجداد على أنه دين الله ...لماذا؟ لأنهم وجدوا بيئتهم بكل ألوانها ومشايخها وسلطاتها تقول هذا الكلام..

الحمقى لا يعرفون أنهم نتيجة كبيرة ومخيفة لهذا الثنائي (السلطة والمال)..

سلفهم و وما يصاحبها من انتقاص الآخر، وتعطيل النقد الذاتي، وإشعال ... وتنهي بثمرة هي إنكار الحقيقة وبغضها ورفضها ..

---

[1] وهذه المؤتمرات والندوات حول (الدعوة) وسبل تطويرها وتطوير الدعاة.. الأولى منها أن نتوقف عن الدعوة تماماً.. حتى نتعلم إلى ماذا ندعو؟ كيف نعزم على صعود الجبل قبل افتتاح الطريق؟ .. فالله عز وجل يقول (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة).. فالبصيرة سابقة على الدعوة.. فلنتعلم البصيرة أولاً حتى ندعو عليها، ولنعبد الطريق أولاً حتى نسير عليه.. وعندئذ لا ينتشر تشويه الإسلام بانتشار الدعوة.. وإنما يصبح تطبيق المسلمين هو الدعوة نفسها، وتصبح النظرية السليمة دعوة نظرية سليمة، كما أن التطبيق السليم دعوة عملية ناصعة البرهان..

[2] مع أننا لا نذهب مذهب القرآنيين ونؤمن أن السنة في حالة ثبوتها ستكون متفقة مع القرآن الكريم في البيان والتأكيد والشرح والتفصيل، وأن النبي (ص) لا يخالف القرآن الكريم، إلا أن القرآنيين أفضل حالاً من أهل الحديث، فهم يدورون حول القرآن الكريم الذي لا يهدي إلا للتي هي أقوم، بينما أهل الحديث يدورون حول الحديث المظنون الذي تم وضع أكثره لمزاحمة القرآن وتشتيت هدايته وصرفه عن أهدافه الإلهية إلى استخدامات سلطوية ظاهرة وخفية، ومن هجر القرآن بسبب الحديث أولى بالبدعة

والضلالة ممن هجر الحديث لأجل القرآن الكريم، والأكمل أخذ القرآن كله مع ما صح من الحديث وفق معايير صحيحة وليس تلك المعايير المذهبية التي عليها أهل الحديث في مصطلحهم، ذلك المصطلح الذي لا يقيم للقرآن ولا العقل ولا الحقائق وزناً في الحكم على متن الحديث ورجاله، مصطلح متخلف متمذهب لا يعطي برد اليقين ولا يحسن التعامل مع النصوص ولا الرجال ولا التاريخ ..الخ.

[3] وخاصة فيما يتعلق بحرية المعتقد وحقوق الإنسان والعدل والصدق والشورى وكرمة الإنسان... فهذه ونحوها لم يبوّب لها أهل الحديث والفقه ...مع حضورها القوي في القرآن الكريم..والسنة لابد أن تكون ظلاً للقرآن الكريم، تفسره وتبينه تسير بجانبه، لا أن تنفصل عنه أو تعارضه أو تهمل أموراً اهتم بها.. أو تخترع أموراً أهملها..(قارنوا موضوعات الكتب الستة مع موضوعات القرآن الكريم، وستلحظون كم قضمت السياسة من القرآن، وماذا أبقت، وما ذا أضافت، وستأتي البراهين القاطعة الدالة على أن أثر السلطة في التدوين الفقهي والحديثي قد وصل إلى مدى لا يستهان به.. أما الإنتاج العقدي فهو إنتاج خالص للسلطة)!

[4] وللمزيد من قراءة سلوك السلطة وأثرها في الحديث والتاريخ وعقائد الناس وأفهامهم- انظر الملاحق التفصيلية..

[5] أرجو أن ينتظر القاريء الكريم تفسيري ومرادي من هذه العودة، ولا يخشى أحد من توحد لغتي مع لغة المشرعين لانتهاك حقوق الإنسان..للأسف أصبح كثير من الناس يخشى من هذه اللغة، لأن السلطة لم تتح عبر القرون لمن يفسر هذه العودة بما يتلاءم مع العدل والحق والصدق.. إنما أتاحت لمن يثرثر بهذه اللغة مع أسوأ تفسير في أقبح نية ..

[7] وأبشع هذه المذابح التي ذهبت بكثير من العلم لموت العلماء، حروب الردة ذهب فيها كثير من الصحابة، ثم الفتوح، ثم قتل الثوار في عهد عثمان لعثمان، وقتل معاوية لثلاثين بدرياً كعثمان في صفين وعلى رأسهم عمار بن ياسر، ثم مجازر الأمويين ضد أهل البيت في كربلاء، وضد المهاجرين والأنصار بالحرة وبمكة، وضد التابعين في البصرة والكوفة..

[8] وأغلب غلاة عصرنا وسلفهم نيتهم حسنة، هم يظنون أن القرن الأول كان خيراً خالصاً، وأن أهل ذلك القرن كانوا يحبون الصحابة والتابعين بإحسان! وهذا وهم كبير ترده ومتواترات التاريخ والوقائع، صحيح أن القرن الأول كان أفضل لكثرة شهداء الله على الأرض، ولكن هؤلاء الصحابة استؤصلوا في القرن الأول، من قبل السلطات الأموية التي يدافع عنها هؤلاء الطيبون، فالأمويون استأصلوا أهل بدر بصفين قبل أن يحكموا، واستأصلوا أهل الرضوان بالحرة بعد أن حكموا، وختموا على أعناق بقية الصحابة بعد أن تحكموا، وهذا لا يذكره شيعي ولا خارجي، وإنما هذا ما أكده شاهد عصره، التابعي الكبير سعيد بن المسيب رضي الله عنه، كما ورد في : صحيح البخاري [جزء 4 - صفحة 1475] قال - سعيد بن المسيب-: : وقعت الفتنة الأولى - يعني مقتل عثمان - فلم تبقِ من أصحاب بدر أحداً، ثم وقعت الفتنة الثانية - يعني الحرة - فلم تبقِ من أصحاب الحديبية أحداً ثم وقعت الثالثة فلم ترتفع وللناس طباخ (يعني قوة أو عقل أو خير)..اهـ والأثر في موطأ الشيباني (3/502): عن مالك عن يحي بن سعيد عن سعيد بن المسيب نحوه ولكن لفظ (فإن وقعت الثالثة..) ولفظ البخاري أقوى، وهو عند عبد الرزاق في مصنفه (11/358) عن معمر عن يحي بن سعيد عن ابن المسيب، وأحمد بن حنبل عن يحي بن سعيد عن ابن المسيب (كما في العلل 3/92)... ويقصد سعيد بن المسيب بالثالثة فتنة بني مروان.. فالفتنة الأولى التي استأصلت (أهل بدر) هي فتنة معاوية، وخروجه على الخليفة الشرعي علي بن أبي طالب، وقد شهد مع علي صفين سبعون من أهل بدر، وثمانمائة رضواني، وبقية المهاجرين والأنصار، وليس مع معاوية بدري ولا رضواني، وإنما طلقاء وأعراب وقبائل غسان وكلب، وغالبيتهم كانوا من النصارى، فقتل في صفين نحو نصف هؤلاء البدريين رأسهم عمار بن ياسر الذي نشر معاوية جائزة لمن يأتي برأسه، وقد تخاصم القتلة بين يديه كما في مسند الإمام أحمد وغيره..ومات بقية أهل بدر في عهد معاوية إما مهانين كبدريي الأنصار (قصة ابي قتادة مع معاوية: فاصبروا حتى تلقوه!)، أو مسمومين كبدريي المهاجرين (قصة موت سعد بن أبي وقاص مسموماً! بعد رفضه البيعة

ليزيد ولياً للعهد!)، أو تم اغتيالهم كفاحاً (اغتيال محمد بن مسلمة في أول عهد معاوية وبإيعازه ، وكانت عنده أسرار عمر)! وأما الفتنة الثانية فكانت لابنه يزيد بن معاوية، وكانت في حق أهل المدينة (فبقي جيشه ثلاثة أيام يفجرون ويقتلون وينهبون وينتفون اللحى – حسب تعبير الذهبي الشامي-)، والثالثة فتنة مروان وخبيثهم الحجاج الذي أهان الصحابة بالحجاز وختم أعناقهم قبل أن يوليه عبد الملك العراق، وأتى هناك على البقية الباقية من صالحي أهل العراق، فهذه الفتنة هي التي قال عنها سعيد بن المسيب (أنها لم ترتفع وللناس طباخ (أي قوة) على قول الحق ومقاومة الباطل، أو (عقل) في تمييز الخير من الشر.. لكن هؤلاء الأبطال من الضحايا من الصحابة والتابعين كانوا (شهداء) على عصرهم، يقولون لنا : لا ..كلما ظننا أن تاريخنا كان بخير..!ولم يقعوا فتنة في تصديق الفاجر، أوتكذيب المؤتمن....

[9] وشهود أهل بدر – باستثناء أفراد كسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة - مع علي خبر صحيح، وعليه كثير من الروايات القوية الأسانيد، ولها شواهدها التاريخية،،و لا يشكك في هذا الأمر وينكره إلا المتأثرين بالأموية، كابن تيمية ومدرسته، بلى شكك فيه بعض العثمانية المتقدمين كالشعبي، فقد كان يحلف أنه لم يشهد صفين مع علي إلا خزيمة بن ثابت! وهذه يمين فاجرة من متعصب، لا يعول عليها إلا جاهل بالتاريخ،، إذ لا يجادل أحد في شهود رأس البدريين علي بن أبي طالب، وعمار بن ياسر، وهما بدريان إجماعاً، والروايات على اختلافها في عدد الصحابة مع علي من أهل بدر والرضوان إلا أنها تؤكد على كثرتهم، وقد شنع الذهبي وقبله الساجي وابن الجوزي على حبة بن جوين العرني – وهو ثقة- واتهموه بالكذب لأنه روى أنه شهد مع علي ثمانون بدرياً! مع أن الوقائع تدعم روايته، ولم يحكموا على الشعبي بالكذب لحلفه بالله أنه لم يشهد صفين مع علي إلا خزيمة بن ثابت! مع أن شهود علي وعمار إجماعاً يفيد تكذيبه وفجور يمينه إن صح عنه، وأما حبة بن جوين العرني فالروايات والوقائع تدعم روايته ومنها : في تاريخ الإسلام [جزء 1 - صفحة 454] وقال سعيد بن جبير : كان مع علي يوم وقعة الجمل ثمانمائة من الأنصار

وأربعمائة ممن شهدوا بيعة الرضوان، رواه جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد(والسند صحيح، وقد ذكره خليفة في تاريخه)، وقال المطلب بن زياد عن السدي : شهد مع علي يوم الجمل مائة وثلاثون بدريا وسبعمائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.وفي تاريخ الإسلام [جزء 1 - صفحة 467] بسند صحيح: قال عبد السلام بن حرب عن يزيد بن عبد الرحمن عن جعفر أظنه ابن أبي المغيرة عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه قال : شهدنا مع علي ثمانمائة ممن بايع بيعة الرضوان قتل منهم ثلاثة وستون رجلا منهم عمار، (قلت السند كاملاً عند خليفة - تاريخ خليفة بن خياط [جزء 1 - صفحة 46] حدثنا أبو غسان قال : نا عبد السلام بن حرب بالإسناد والمتن سواء)، وفي البداية والنهاية [جزء 7 - صفحة 255] قال أبو إسرائيل عن الحكم بن عتيبة: وكان في جيشه (يعني علياً) ثمانون بدريا ومائة وخمسون ممن بايع تحت الشجرة رواه ابن ديزيل..، والحكم بن عتيبة يروي الخبر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري، وقد شهدها مع أبيه، وهذه الرواية أزعجت علماء الشاميين، فحاولوا تضعيفها، فقد روى جماعة عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه حدثنا أمية بن خالد قال لشعبة : إن أبا شيبة روى عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى : قال شهد صفين من أهل بدر سبعون رجلا، فقال (أي شعبة): كذب أبو شيبة والله لقد ذاكرنا الحكم في ذلك فما وجدناه شهد صفين من أهل بدر غير خزيمة بن ثابت..اهـ قلت: ابو شيبة ليس كاذباً بل الكاذب من زعم أنه لم يشهدها إلا خزيمة بن ثابت، وشعبة أكبر من أن يقول هذا القول، وكذا أحمد فقد روى في مسنده أن أبا فضالة بدري وأنه شهد مع علي صفين.. وهذا الخبر معلول، وأتهم به عبد الله بن أحمد، في حملته على أهل الرأي، وقد كان أبو شيبة قاضياً بواسط وهو جد آل أبي شيبة).. ثم أبو شيبة لم ينفرد عن الحكم بهذه الرواية فقد روى الحاكم - المستدرك على الصحيحين - (ج 10 / ص 358)- من طريقين: ثنا الخضر بن أبان الهاشمي ، ثنا علي بن قادم ، ثنا أبو إسرائيل ، عن الحكم قال : « شهد مع علي صفين ثمانون بدريا ، وخمسون ومائتان ممن بايع تحت الشجرة » اهـ، و عند ابن العديم في بغية الطلب في تاريخ حلب - (ج 1 / ص

81)... عن أبي الحسن المدائني أن أبا الحسن ابن أبي نعيم الفضل بن دكين قال: حدثنا جرير بن حازم عن يونس بن خباب قال: شهد مع علي بن أبي طالب يوم صفين ثمانون بدرياً..اهـ ، وعنده أيضاً - بغية الطلب في تاريخ حلب -(ج 1 / ص 81)- ..من طريق أبي علي بن شاذان قال: أخبرنا أبو الحسن الطيبي قال:حدثنا أبو إسحق الكسائي قال: حدثنا يحيى - يعني ابن سليمان - قال: حدثنا محمد بن عميرة النخعي قال: حدثنا أبو إسرائيل العبسي عن الحكم بن عتيبة قال: شهد صفين مع علي رضي الله عنه ثمانون بدرياً..الخ)، وكذا في - التدوين في أخبار قزوين -(ج 1 / ص 68)- حدث أبو الحسن القطان في كتابه الطوالات قال: ثنا محمد بن أبي الوزير القزويني ثنا أحمد بن محمد بن أبي سلم ثنا محمد بن حسان ثنا أسباط ومالك بن إسماعيل عن أبي إسرائيل عن الحكم قال: شهد مع علي رضي الله عنه ثمانون بدرياً ...الخ)، وروى نحو هذا (سبعين بدرياً) يحي بن سليمان الجعفي شيخ البخاري بسند قوي (راجع تحذير العبقري والتقوية منه فلم أطلع على الإسناد). وفي تاريخ دمشق [جزء 19 - صفحة 442] بسنده عن بعض علماء التابعين: محمد بن علي الباقر، ومحمد بن المطلب، وزيد بن حسن قالوا : شهد مع علي بن أبي طالب في حربه من أصحاب بدر سبعون رجلا وشهد معه ممن بايع تحت الشجرة سبع مائة رجل فيما لا يحصى من أصحاب رسول الله ص - وشهد معه من التابعين ثلاثة بلغنا أن رسول الله ص - شهد لهم بالجنة أويس القرني وزيد بن صوحان وجندب الخير فأما أويس القرني فقتل في الرجالة يوم صفين وأما زيد بن صوحان فقتل يوم الجمل،اهـ، وكان علماء أهل البيت مهتمين بأسماء من شهد مع علي من باب حفظ حقوقهم في الذكر والثناء الحسن على الأقل، ففي تاريخ دمشق- (ج 16 / ص 53) من طريق الأجلح بن عبد الله الكندي قال سمعت زيد بن علي وعبد الله بن الحسن (المحض) وجعفر الصادق ومحمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية) يذكرون تسمية من شهد مع علي بن أبي طالب من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم، كلهم ذكره عن آبائه وعن من أدرك من أهله... الخ)، وذكر الخطيب في تاريخه إسناده عنهم أكثر من مرة في من شهد مع علي،

وكذلك ابن أبي رافع مولى النبي (ص)، له كتاب في تسمية أصحاب أمير المؤمنين وروى من طريقه أهل التراجم كثيراً، ومنهم الطبراني في الكبير :حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا ضرار بن صرد قال: حدثنا علي بن هاشم عن محمد بن عبد الله بن أبي رافع عن أبيه في تسمية من شهد مع علي... الخ)، وهي طريق متماسكة رغم تضعيف أهل الحديث لمثل هذه الرويات كعادة كثير منهم فالنصب فيهم فاشٍ، وعند ذكر قتلى صفين نقل ابن كثير - البداية والنهاية [جزء 7 - صفحة 275]- وكان في أهل العراق خمسة وعشرون بدريا..اهـ قلت: يعني من الشهداء فقط.. ونحوه الذهبي في تاريخ الإسلام [جزء 1 - صفحة 466] إلا أنه استدرك بقوله (ثوير متروك) .. قلت: كلا ليس بمتروك إلا مذهبياً..وقد وثقه بعضهم وروى عنه أئمة مثل شعبة، ولم ينقم عليه إلا التشيع – كما قال الحاكم- ولروايته شواهد صحيحة.. وعند خليفة شيخ البخاري - تاريخ خليفة بن خياط [جزء 1 - صفحة 42] بسند صحيح وهو نا أبو غسان (وهو مالك بن إسماعيل النهدي) قال : نا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قال :(كان مع علي يوم الجمل ثماني مائة من الأنصار وأربعة مائة ممن شهد بيعة الرضوان) اهـ.. قلت أهل الرضوان كانوا ألف وأربعمائة، فهؤلاء أكثر من النصف، وكان أكثرهم قد مات، والتحق بعلي بعد الجمل من التحق من أهل الكوفة والحجاز..فالروايات يدعم بعضها بعضاً.. وليس كما ذكر المتعصبون أنه لم يشهدها إلا خزيمة .. ولا أيضاً ما ذكره آخرون بأنه شهد مع علي مئتان وأربعون بدرياً...وإن كانت أكثر قبولاً عقلاً وإسناداً.. فقد روى الحاكم في المستدرك [جزء 4 - صفحة 486] بسند صحيح قال:

أخبرني محمد بن علي الصنعاني بمكة حرسها الله تعالى ثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا عبد الرزاق أنبأ معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال : ثارت الفتنة و أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم عشرة آلاف لم يخف فيها منهم إلا أربعون رجلا، وقف مع علي مائتان و بضعة و أربعون رجلا من أهل بدر فيهم أبو أيوب و سهل بن حنيف و عمار بن ياسر)..اهـ، قلت: وهذه الرواية وإن كان إسنادها صحيحاً إلا أنها منكرة ..

وكأن هناك تصحيفاً في كلمة (بضعة) أو تكون الواو في (وأربعون)ابتدائية.. أو تكون ابتدائية في (وبضعة) .. على أن ابن سيرين كان منحرفاً عن علي ولن يقول هذا القول..وأما روايته بأن فتنة عثمان لم يشهدها أحد إلا أربعون أو ثلاثون، فيقصد الثورة على عثمان.. وكذلك كثير من الروايات في اعتزال الصحابة الفتنة إنما يراد بها الثورة على عثمان في الغالب، ولإثبات هذا تفصيل طويل..ولكن النواصب أظهروا كأن كل الصحابة مع عثمان ثم كلهم اعتزل الجهاد مع علي .. وهذه من كبار شبهاتهم التي صرفوا بها أتباعهم عن اتباع النصوص إلى ما يدعون من مواقف الصحابة..

وقال المسعودي في مروج الذهب - (ج 1 / ص 314) - وهو من أهل الاهتمام بهذا الشأن- : وكان ممن شهد صفين مع علي من أصحاب بدر سبعة وثمانون رجلاً: منهم سبعة عشر من المهاجرين، وسبعون من الأنصار، وشهد معه من الأنصار ممن بايع تحت الشجرة وهي بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعمائة، وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة اهـ..

قلت: وقول المسعودي قريب من قول ابن أبي ليلى وحبة بن جوين العرني وسعيد بن جبير والحكم بن عتيبة وأمثالهم من أهل العلم والاعتدال .. وهذا أقرب الصواب والاعتدال، أنه شهد صفين مع علي نحو الثمانين بدرياً أو أكثر بما لا يزيد عن المئة، أو أقل بما لا ينقص عن الخمسين، وليس الأمر على قول من يقول شهد مع علي (مئتان وأربعون بدرياً) ولا من يقول لم يشهدها إلا (بدري واحد)!..مع ملاحظة اختلاف الناس في أسماء البدريين كثيراً، وفي بدريتهم أكثر من اختلافهم في شهودهم صفين، وللفتنة أثرها في هذا الاختلاف الأول والثاني! ويكفي هنا أن الطرف الآخر الباغي (فئة معاوية) ليس معهم بدري ولا رضواني، ومن ألطف ما سمعته من أحد النواصب بنجد- ممن يحب يزيد والحجاج ومعاوية- وكنت أعدد له من شهد مع علي من أهل بدر قوله (علي وحده يكفي لا يحتاج أن تذكر معه أحد)! فأعجبتني كلمته، إلا أنه وزملاؤه يظهرون للناس أن الصحابة افترقوا قسمين، قسم مع علي وقسم مع معاوية! ودخلوا من باب الثناء على

صحبة الطلقاء للطعن في صحبة أهل بدر، وأن الواجب تسليم قتلة عثمان ... ويرددون أقوال معاوية، لا يلتفتون معها لنص صحيح ولا بيعة شرعية ولا سابقة بدري، ولا خدعة القميص، ولا إهدار الصحابة للدماء في الفتنة (راجع قتال أهل البغي في الأم للشافعي)..

ومن الشواهد العامة ما رواه الطبقات الكبرى لابن سعد - (ج 6 / ص 9) قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال: حدثنا الحسن بن صالح عن عبيدة عن إبراهيم قال: هبط الكوفة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة وسبعون من أهل بدر، لا نعلم أحدا منهم قصر ولا صلى الركعتين اللتين قبل المغرب (وهذه الرواية وجدتها فيما بعد، وأضفتها هنا..)..

وحتى لا يبقى الكلام عاماً يستحسن هنا أن نذكر أشهر البدريين الذين شهدوها مع علي، وفي بعضهم خلاف في بدريته أو شهوده، لكن الأغلب وما عليه أكثر أهل السير وتراجم الصحابة أنه شهدها مع علي نحو السبعين أو الثمانين بدرياً.. فممن وجدناه :

1- علي بن أبي طالب ..أمير المؤمنين.. وذكره وحده كافٍ إلا أن البعض لكثرة النصب المبثوث يحتاج إيمانه بحق علي إلى دعامات.. وإلا فالأدلة النقلية والعقلية والتاريخية التي مع علي بن أبي طالب في منتهى الوضوح والحجة..

2- عمار بن ياسر وهو ميزان تلك الحروب كلها.. لارتباطه بأدلة فاصلة..

3- خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين الأنصاري..

4- وأبو عمرة الأنصاري،

5- وأبو أيوب الأنصاري،

6- وسهل بن حنيف الأنصاري،

7- وأبو فضالة الأنصاري،

8- وقيس بن سعد الأنصاري،

9- وأسيد بن ثعلبة الأنصاري،

10- وثابت بن عبيد الأنصاري،

11- ورفاعة بن رافع بن مالك بن عجلان الزرقي الأنصاري (تهذيب ابن حجر)،

12- ومسطح بن أثاثة المطلبي القرشي،

13، 14- والحصين والطفيل ابنا الحارث بن المطلب أخوا عبيدة، مطلبيان

15- ومسعود بن أوس الأنصاري،

16- وأبو بردة هانيء بن نيار،

17- وجبر بن أنس الأنصاري (معجم الطبراني : كتاب ابن أبي رافع)،

18- وخليفة بن عدي البياضي الأنصاري،

19- وربعي بن أبي ربعي الأنصاري،

20- وربعي بن عمرو الأنصاري،

21- وخويلد بن عمرو الأنصاري،

22- ورفاعة بن رافع الأنصاري،

23- وزيد بن أسلم البلوي،

24- والنعمان بن العجلان الزرقي الأنصاري (لسان الأنصار وشاعرهم)

25- وأبو حبة الأنصاري، ويقال أبو حنة..

26- وأبو حسن المازني الأنصاري، (قائمة البيعة عقبي بدري)

27- وأبو الورد المازني الأنصاري،

28- وأبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري،

29- وأبو طلحة الأنصاري،

30- وأبو الهيثم مالك بن التيهان الأنصاري،

31- وكعب بن عامر الساعدي،

32- وثابت بن قيس بن الخطيم الأنصاري (قائمة البيعة)

33- خوات بن جبير الأنصاري،

34- سهيل بن عمرو الأنصاري (وهو غير القرشي، فالأنصاري بدري مجهول! لأنه مع علي، والقرشي مشهور لأنه من الطلقاء والمؤلفة قلوبهم!)،

35- وعبد الله بن عتيك الأنصاري،

36- والفاكه بن بشر بن الفاكه الأنصاري،

37- أبو ليلى الأنصاري،

38- وأبو أسيد الساعدي،

39- ومعاذ ابن عفراء الأنصاري – أحد قتلة ابي جهل- ،

40- وأبو واقد الليثي،(مختلف في بدريته)،

41- وأبو دجانة الأنصاري،

42- عمرو بن بلال الأنصاري،

43- أبو قدامة بن الحارث الأنصاري،

44- والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي،

45- والحارث بن حاطب الأنصاري (الطبراني)

46- وخباب بن الأرت،

47- وجبلة بن ثعلبة الأنصاري، ولعله جبلة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري أو رخيلة بن خالد بن ثعلبة قاله ابن الأثير و احتمله ابن حجر.. يبحث..

48- والحارث بن النعمان الأنصاري (أبو نعيم)

49- ربعي بن رافع الأنصاري،

50- أنسة مولى رسول الله (ص)

51- هند بن أبي أهالة

52- أبو سعد الساعدي،

53- أبو مسعود الأنصاري،

54- جبير بن حباب بن المنذر (معجم الطبراني)

55- جبلة بن عمرو البياضي الأنصاري أخو أبي مسعود (معجم الطبراني)،

56- الحارث بن النعمان الأنصاري (معجم الطبراني)،

57- زياد بن لبيد البياضي..

58- أبو قتادة الأنصاري،

59- جابر بن عبد الله الأنصاري (في بدريته خلاف)،

60- أنس بن مالك الأنصاري (وأين أغيب عن بدر لا أم لك؟)..

61- أبو محمد الأنصاري (الطبراني 20/332)،

62- الحارث بن زياد الأنصاري شهد بدراً يعد في الكوفيين [مهم] [أصحاب علي] (تهذيب ابن حجر 2/141)،

63- عنترة السلمي،

64- عبيد بن التيهان الأنصاري،

65-عبيد بن خالد السلمي (من المهاجرين)

66- الفاكه بن سعد بن جبير الأنصاري (مهاجري)!

67- فروة بن عمرو البياضي الأنصاري (بدري عقبي سكت عنه مالك)!

68- أبو عياش الزرقي (تبحث بدريته)

69- قرظة بن كعب الأنصاري (أحدي في طبقة أهل بدر)..

70- عثمان بن حنيف الأنصاري (أحدي في طبقة أهل بدر)..

71- ثعلبة بن قيظي الأنصاري بدري ..

72- الحجاج بن عمرو بن غزية الأنصاري.. يبحث

73- حنظلة بن النعمان الزرقي الأنصاري أحدي ويحتمل بدريته..

74- كعب بن عامر السعدي لعله الساعدي (بدري)..سبق ..

75- أبو الورد المازني يبحث..

76- أبو ليلى الأنصاري احدي تبحث بدريته

77- يزيد بن حوثرة الأنصاري أحدي تبحث بدريته.. أو يزيد بن نويرة له سابقة

78- سعد بن الحارث بن الصمة .. يبحث..

79- زيد بن أرقم أحدي

80- صالح الأنصاري بدري(الإصابة)..

81- أوس بن قيظي (يبحث)..

82- أبو قدامة بن الحارث الكناني أحدي قتل مع علي بصفين على غموض (ابن حجر)..

83- أبو قدامة الأنصاري (من شهود الغدير).. غير الأول.. ومن ولاة علي على البحرين قدامة بن عجلان – ولم أجده- فلعله هذا..

84- أبو عياش الزرقي..

85- عقبة بن عامر (بن نابي) السلمي الأنصاري ..(انظر ترجمة أبي أيوب)..

فهؤلاء فوق السبعين بدرياً ومن يرجح بدريتهم وجدناهم بأسمائهم، قتل معظمهم بصفين مع علي، أكثرهم في فضل العشرة، وعاش بعضهم بعد صفين، ولم يتجاوز بدري عهد معاوية على الراجح! وهذا تفسير رواية سعيد بن المسيب، ولا شك أن في بدرية بعضهم خلاف لأنه لم يتفق أهل المغازي على أسماء البدريين أصلاً، ولا على شهودهم المشاهد قبل علي وفي عصره، ولكننا نأخذ بالأغلب الأعم مع دعم الروايات العامة، وليس هنا محل تحرير أسماء البدريين، ولا تحرير شهودهم، كما أن التعويل على الروايات في شهودهم أكثر من تعداد أسمائهم، فالأسماء يصعب تحديدها، ولو نبحث عن أسماء البدريين الذين شهدوا الفتوح لاستحال أن نجد نصفهم بالأسماء، .. فقد ذكر أهل التواريخ أن القادسية شهدها سبعون بدرياً .. ولكن لن يستطيعوا ذكر عشرة منهم بأسمائهم، والهدف أن نقول هنا أن من قتلهم هم أهل الشام، الذي يدافع عنهم بعض الغلاة والنواصب بحجة أن فيهم (صحابة طلقاء)، ولا يتذكرون أنهم ذبحوا صحابة بدريين، وأما ثانياً فهو أن فقد هؤلاء كان خسارة كبيرة على العلم والشهادة بالحق في المواطن الصعبة، مع أننا لم نذكر هنا فضلاء الصحابة ممن لم يشهد بدراً وشهدوا مع علي صفين وغيرها من مشاهده، ، كجابر بن عبد الله وزيد بن أرقم والبراء بن عازب وابن عباس والحسن والحسين ورافع بن خديج والمرقال وعبد الله بن بديل وحجر بن عدي وأبو الطفيل والجندبان الفاضلان العالمان /جندب بن زهير وجندب بن كعب/ وسليمان بن صرد الخزاعي، وسهل بن سعد، وأبو سعيد الخدري، ... وغيرهم كثير جداً ، ويكفي أنه شهد معه (800) من أصحاب بيعة الرضوان، كلهم في مرتبة ابن عمر وبعضهم أفضل منه صحبة وسبقاً، فكيف يوازن اغلاة

والنواصب ويجعلون طلقاء أهل الشام وأعرابهم ونصاراهم في موازاة ومساواة مع هؤلاء؟.. هذا من آثار النصب التي تسللت إلى التراث السلفي خاصة، وتبعهم كثير من مقلدي المذاهب، كما أنني لم أذكر أفاضل التابعين المسفوكة دماؤهم مع علي، كأويس القرني وهو خير التابعين (الذي لم يذكر في الفتوح، لكنه حرص على القتال مع علي) وكذا الزاهد المشهور عامر بن عبد قيس وأمثالهم وعلقمة بن قيس كبير التابعين بالكوفة، وكميل بن زياد النخعي التابعي الزاهد، والأشتر النخعي البطل المشهور، والحضين بن المنذر، وأبو الأسود الدؤلي وآل صوحان،..وغيرهم... ممن لا يعرفهم أكثر الغلاة والنواصب.. أو لا يريدون أن يعرفوهم، فقد اكتفوا بمعرفة معاوية وابن العاص وابن حديج وأبي الغادية والضحاك ومروان والوليدَين واليزيدَين.. والخلاصة أن في قتل هؤلاء البدريين أو الفضلاء من غيرهم أو إذلالهم أو تهميشهم كانت له آثاره على الناتج الثقافي..وعلى الثقافة العامة للمسلمين... وأدى هذا الفراغ الهائل بفقدهم إلى ملء هذا الفراغ بمن هو أقل منهم فضلاً وعلماً وشهادة بالحق..هذا على أقل تقدير.. فكيف إذا علمنا بأن فراغهم تم ملؤه بمن يسوغ للظالم ظلمه ويضع له الأحاديث ويغض من أهل العدل، .. ويشارك في إنتاج ثقافة بديلة ليس فيها إلا التوهين في العظائم والتهويل في الصغائر.. الخ لا شك أن هذا مما يميت العلم أو يقبضه ويرفع الجهل .. وهنا تكون الفتنة .. من شك وخوف وأغراء وإحباط وقلة فهم للدين وسماع نشرات أهل الباطل عبر المنابر..ثم السير في ركب الظلمة أو الركون إليهم.. ولذلك نجد من كان في الصحابة أفقه وأتقى كان أحرص على قتال أهل الشام خاصة، مثل عمار بن ياسر، كان من أحرص الناس على قمع فتنتهم. ففي تاريخ الطبري [جزء 3 - صفحة 99] (وعمار يقول تقدم يا هاشم الجنة تحت ظلال السيوف والموت في أطراف الأسل وقد فتحت أبواب السماء وتزينت الحور العين ... اليوم ألقى الأحبه ... محمدا وحزبه ... فلم يرجعا حتى قتلا..)، ولما رأى عمار بن ياسر راية عمرو بن العاص وهو مع معاوية ذكر أن تلك الراية قد قاتلها مع رسول الله أربع مرات، وأن موقف راية عمرو مع معاوية ليست بأبر ولا أتقى.. ففي تاريخ الطبري [جزء 3 - صفحة 99]

بسند قوي عن عمار بن ياسر بصفين وهو يقول لعمرو بن العاص (لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الرابعة ما هي بأبر ولا أتقى).. فواضح أن عمر بن ياسر كان ممن فقه أهمية حرب البغاة مع علي، ولذلك ورد فيه الحديث المشهور في صحيح البخاري: (تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار) ومن التابعين نجد من فقه هذا الفقه مثل عبد الله بن سلمة، مصنف ابن أبي شيبة - (ج 8 / ص739) إسحاق بن منصور عن عبد الله بن عمرو بن مرة عن أبيه عن عبد الله بن سلمة قال- وقد كان شهد مع علي الجمل وصفين وقال : ما يسرني (بهما) كل ما على وجه الارض..اهـ ومن اللطائف ما ذكره ابن بطال: - شرح ابن بطال للبخاري - (ج 19 / ص 28)- وروى سفيان عن يحيى بن هانئ أنه قال لعبد الله بن عمرو: « على كان أولى أو معاوية؟ قال:علي. قال: فما أخرجك؟ قال: إنى لم أضرب بسيفٍ ولم أطعن برمح، ولكن رسول الله قال:أطع أباك فأطعته » . وقال إبراهيم بن سعد: قتل أويس القرنى مع على فى الرجالة. وقيل لإبراهيم النخعى: من كان أفضل علقمة أو الأسود؟ فقال: علقمة؛ لأنه شهد صفّين وخضب بسيفه فيها).. فهذا إبراهيم النخعي كبير فقهاء التابعين في الكوفة، يفضل من شهد مع علي على من اعتزل، ولو سألنا أحد العلماء اليوم – باستثناء الشيخ ابن باز-لقال : الاعتزال أفضل.. وذهب يجلب لنا - بثقافة أهل الشام- الخلط بين أحاديث اعتزال الفتن وتنزيلها على عهد علي، ناسياً الأمر القرآني بقتال البغاة، وأن من أظهر تطبيقاته عبر التاريخ هو هذه الحرب تحت راية علي بن أبي طالب، بل لن يسلم تطبيق قتال البغاة في هذه الدنيا كلها إن لم نصوب قتاله للبغاة ونعده واجباً، وعلى هذا كل فقهاء المذاهب الأربعة، لم يخالف في هذا إلا ابن تيمية لمذهبه المعروف، وادعى كاذباً أن الإجماع على هذا كعادته! مع أن كل كتب الفقه تقرر وجوب قتال البغاة والمحاربين، وأنه لو تُرك أهل البغي والمفسدون في الأرض لذهبت المصلحة من وجود الدولة، ولا أعلم أحداً من مدرسة ابن تيمية يخالفه في هذا الرأي الشاذ، إلا الشيخ ابن باز رحمه الله، فهو الوحيد من هذه المدرسة من يرى وجوب القتال مع علي، وأن الصواب ليس الاعتزال كما يشيع

هؤلاء..وهذا الفقه الذي لمسناه عند علي وعمار وإبراهيم النخعي أدركه ابن عمر ولكن متأخراً ..! بعد أن رأى كوارث بني أمية فقد ندم على تركه قتال الفئة الباغية كما أمر الله .. وذكره عنه ابن عبد البر في ترجمته من عدة وجوه صحيحة.. وإنما أطلت في هذه الفقرة لأن الغلاة يتتعتون فيها، تماهياً مع مطلب معاوية، بخلاف استبشاعهم نسبياً! لجرائم بني أمية في المواقع الأخرى، كالحرة وكربلاء وهدم الكعبة..فهم يتظاهرون إلى حد ما بإنكار ذلك..وبعضهم قد يفرح بذبح الشهداء وحكم السفهاء..وهذا شأنهم .. لست عليهم بمسيطر..

[10] قتل الحسين وبضعة عشر من ذرية فاطمة وسبعين من أصحابه ..كانوا من أبرز الشهداء على فساد الوضع العام في ذلك الزمان.. وبالمدينة قتل من المهاجرين والأنصار وأبنائهم عشرة آلاف منهم 700 ممن جمعوا القرآن الكريم..قال ابن كثير الأموي الهوى (لم يكد يفلت أحد من أهلها)..! وتم إجبار أهل المدينة على البيعة على أنهم عبيد ليزيد.. فمن قال: أبايع على الكتاب والسنة تضرب عنقه..وهؤلاء الشهداء- سواء الحسين وأصحابه أو أهل المدينة- أسهمنا في قتلهم أكثر من مرة، مرة بتسويغ قتل الظالمين لهم، ومرة بإماتة ذكرهم، وثالثة بتحميلهم المسئولية دون دولة الظلم، ومرة بنسيان تضحياتهم، وهم من شهود الله على هذه الأمة، وقد سرد خليفة بن خياط في تاريخه أكثر من ثلاثمائة من أعيان هؤلاء الشهداء.. وتم إذلال مدينة الرسول (ص) إذلالاً بليغاً.. فمثل هذه الأحداث ستميت العلم .. وتسهم في إظهار طبقة علمية متماشية مع الوضع القائم.. وكاتمة لبعض العلم رغبة أو رهبة .. ومنصرفة من الاهتمام بكبريات الأمور إلى صغارها.. مفرعة للمساقاة والزارعة، دون العدل وبيت المال والشورى، وبهذا تندرس معالم الدين الكبرى شيئاً فشيئاً..إذ سرى الإحباط إلى أكثر الناس.. واصبح من أقل همومه تغيير المنكر العام.. وانصرف إلى النهي عن المنكرات الصغيرة التي لا تمس النظام ولا الرأي العام الذي أنتجته السلطة..

[11] انظر تركيز المعارضة على الاستشهاد بالقرآن، وتركيز الموالاة! على الاستشهاد بأقوال الرجال أو الأحاديث الضعيفة أو المبتورة..ولهذا علاقة بالعلم..

[12] يقصد السلطة .. والحسن البصري على شهرته وفضله لم يكن من صقور الأشهاد..كان يخشى الفتك ... بينما مثل الصحابي يزيد الضبي كان يخاطر بنفسه في قول الحق والصدع به .. بينما استزلت السلطة مثل ابن سيرين وأمثاله.. وابن سيرين كان من أوائل رموز الثقافة البديلة التي نتجت عن استئصال الثقافة الحية ..

[13] وهذه غريبة من الحسن البصري .. فلا ريب أن للمتكلم فضلاً فوق الساكت.. لكنه سئل وهو في مرحلة ضعف.. وإلا فهو إن شاء الله من رموز شهود الحق.. لكن النفس تضعف أحياناً..

[14] وهذا الحديث صحيح المعنى قوي السند، لكنه من الأحاديث التي أماتته السياسة..وقد رواه مسند أحمد بن حنبل [جزء 3 - صفحة 50] والطبراني وأبو يعلى وغيرهم.. وتجنبه الصحيحان وأكثر المصادر: وهو عن أبي سعيد الخدري : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس ان يقول بحق إذا رآه أو شهده، فإنه لا يقرب من أجل، ولا يباعد من رزق أن يقول بحق أو يذكّر بعظيم)...

[15] كانت عادة بني أمية أن يخطبوا الخطبة جلوساً على المنبر، ويطيلونها أكثر مما يطيلها الزعماء العرب اليوم، وتكون الخطبة سياسية ليس فيها دين ولا شرع.. فيستمرون في هذه البيانات حتى يخرج الوقت ويعدون أنفسهم في صلاة ما داموا جالسين يخطبون ...فلذلك قال الحكم: أولسنا في صلاة؟ وعد الأمر بالصلاة لوقتها جنوناً..

[16] قلت يقول الله: ولا تكتموا الشهادة .. وكان الواجب على أنس أن يشهد بالحق، وهنا يتبين أن بني أمية قد قضوا على أصحاب الشهادة إما قتلاً أو ترهيباً..

[17] نستفيد أن ههذ هي العقوبة الأموية .. للشاهد بالحق.. وهي عقوبة أفضع بكثير من عقوبة المأمون وأمثاله ممن يجلدون الناس على أمر مشتبه..

[18] قلت لأن التفريط جاء متدرجاً ولم يحافظ الصحابة على قول كل الحق برمته وحذافيره وفي كل وقت.. وانما استسهلوا ترك بعض الشهادة خشية الخلاف. فأصبح التفريط عادة ينمو مع موت الأخيار وكثرة الأشرار... ولما أتى بنو أمية كانوا يأخذون الأظهر إنكاراً فالأظهر ..إلى أن أصبح الأخيار قلة وسط بحر من أصحاب المصالح، .. فتسلطوا على البقية حتى أصبح جزاء من ينادي بالصلاة لوقتها هو : (سمل العينين وقطع اللسان وقطع اليدين واالرجلين مع الصلب)! فكيف بإنكار الشئوون الأخرى؟! ومن أين سيعرف الناس الدين؟ من اين ستظهر لهم ثقافة سليمة؟ يعرفون بها ما لهم وما عليهم؟...وإذا لم يستطيعوا الشهادة بأن وقت صلاة الجمعة يجب أن يكون قبل المغرب بكثير.. فماذا سينكرون؟ ..

[19] ابن رجب يحسن الظن كثيراً عندما يذكر أن هذه مجرد (عوائد)! كلا.. كان بنو أمية يريدون تحطيم كل مقدس في الإسلام.. من هجاء النبي (ص) بالأشعار، إلى هدم الكعبة بالمنجنيق، إلى نبش قبور شهداء أحد، إلى محاولة نزع منبر النبي (ص) من مكانه، وإلى الأكل على منبر مسجده، إلى النهي عن الاقتراب من قبر النبي (ص)، إلى هدم الحجرات التي كان ينزل فيها القرآن، إلى اشتراء بيت النبي (ص) بمكة وجعله للدواب! إلى إضاعة الصلاة وأمر الناس بذلك.. إلى تحويل القبلة إلى بيت المقدس (بنو مساجد حديثة قبلتها إلى بيت المقدس) إلى الحج إلى بيت المقدس في عهد عبد الملك، إلى لعن الممثلين لسيرة النبي (ص) وعدله وخلقه، كعلي بن أبي طالب، إلى سب فاطمة ابنته ولعنها (كما فعل أصحاب يوسف بن عمر).. إلى جعل القرآن هدفاً للسهام في عهد الوليد الفاسق.. إلى النذر بشرب الخمر فوق الكعبة .. إلى تسمية زمزم أم الخنافس(خالد القسري)، إلى استباحة المدينة والفجور بنساء المهاجرين والأنصار وبناتهم في عهد يزيد.. إلى الطواف برأس الحسين والتمثيل به .. إلى صلب النساء عاريات

منكسات..إلى سحب الألسنة التي تنادي بالسنة وسيرة أهل الفضل وقطعها.. إلى التشكيك في نبوة النبي (ص) شعراً ونثراً.. إلى تسمية الصحابة منافقين (كما فعلوا مع عمار وابن مسعود وعلي..) إلى تسمية الصحابة كذابين (علي والحسين وابن الزبير ..) .. وفي الجانب الآخر تسمية الفجار من عبيدهم (أهل النصيحة والاستقامة) و(أهل الجماعة والطاعة)! وتفضيل أمرائهم على الأنبياء، والاهتمام بالقصص والمهاجيات القبيحة، إلى حرب القرآن والرويات الصحيحة، .. إنه انقلاب كلي على الإسلام.. ولولا تلك الدماء الطاهرة من المهاجرين والأنصار وأهل البيت والشيعة والخوارج والجهمية ..التي لم تترك للدولة وقتاً لتهدأ ولا لتلتقط الأنفاس..ولم يتركوا لها الصيرورة بالدين إلى المستقر الذي يريدون.. ولو فعلوا لانتهى الإسلام وملة إبراهيم.. وعادت اللات والعزى بجوار مقام إبراهيم!.. ولا ننسى فضل من أربك هذه الدولة الشيطانية من داخلها كعمر بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد ومعاوية بن يزيد بن معاوية رحمهم الله..

[20] يعني قتل وهذه هي الشهادة العظمى، وهي الشهادة بالمعنى القرآني..

[21] أنس هنا والشهادة لله لم يقم الشهادة على وجهها.. فسامحه الله، إلا أنه قد شهد في آخر عمره شهادة حق.. عندما أخبر عن تضييع بني أمية لكل شيء حتى الصلاة ..

[22] وهذه غاية في التحكم والجبر..

[23] تتمة الرواية: فعاتبهم بعض الناس..على كلامهم والإمام يخطب! فقالوا: لم نؤمر أن نسمع لمثل هذا..

[24] قلت: الجملة المعترضة مني، وهذا مما يدمي القلب.. أن تجد فضيل بن غزوان وأمثاله.. يتأسوفون على عهد الحجاج بأن الناس لم يكونوا يخرجون من المسجد وهو يخطب-! فالحجاج وهو الحجاج استطاع أن يزرع ثقافة مضادة للدين يجأر بها بعض التابعين!.. وتقولون : أن الناس ما كانوا يسكتون على حق أبداً؟!!

[25] عذر قبيح.. وما عليه أن يقال هذا؟ .. إنما هو الخوف من السلطان ..

[26] نعم ابن عمر في هذا الموطن من الشهداء .. وقد دفع حياته لهذا الموقف وأمثاله.. إذ دس إليه الحجاج من ضربه في رجله برمح مسموم وسط الزحام.. فمات منها عام 74هـ.. وهو أول مقتول ظلماً في الحجاز بعد القضاء على ابن الزبير وأصحابه..

[27] صحيح، وقد رأينا أنه يقول ليزيد الضبي : لا يرى لمتكلم فضلاً لأنه يهلك نفسه.. فهذه الثقافة خطيرة على الناس.. لفضل الحسن وعبادته ولكنه عاد إلى الإنكار كما في الرواية.. ولكن الثقافة السلطانية غلبت..

[28] هنا الحسن قام بالشهادة .. بعد أن فرط فيها زمناً.. رحمه الله ورضي عنه.. وقد كان يجد المكايد من ابن سيرين وأمثاله ..

[29] والأحاديث في ذلك كثيرة فمنها، المقربون من السلطة نفسها كأبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص، ، فروى أبو هريرة - صحيح البخاري [جزء 1 - صفحة 44]- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يقبض العلم ويظهر الجهل والفتن ويكثر الهرج)، قيل يا رسول الله وما الهرج ؟ فقال هكذا بيده فحرفها كأنه يريد القتل.. وفي المعنى عن أبي هريرة بسند صحيح - المستدرك [جزء 4- صفحة 504]- عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : سيأتي على أمتي زمان تكثر فيه القراء و تقل الفقهاء و يقبض العلم و يكثر الهرج قالوا : و ما الهرج يا رسول الله ؟ قال : القتل بينكم ثم يأتي بعد ذلك زمان يقرأ القرآن رجال لا يجاوز تراقيهم! ثم يأتي من بعد ذلك زمان يجادل المنافقُ الكافرُ المشركُ بالله المؤمنَ بمثل ما يقول!! صححه الحاكم وأقره الذهبي، وفي المعنى ما رواه عبد الله بن عمرو - صحيح البخاري [جزء 1 - صفحة 50] - : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا..) وفي

المعنى نفسه روى أبو أمامة - مسند أحمد بن حنبل [جزء 5 - صفحة 266] - قال : لما كان في حجة الوداع قام رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فقال : يا أيها الناس خذوا من العلم قبل ان يقبض العلم.. –فسأله بعضهم- فقال له يا نبي الله كيف يرفع العلم منا وبين أظهرنا المصاحف وقد تعلمنا ما فيها وعلمناها نساءنا وذرارينا وخدمنا؟ قال فرفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه وقد علت وجهه حمرة من الغضب فقال:..هذه اليهود والنصارى بين أظهرهم المصاحف (أي كتبهم) لم يصبحوا يتعلقوا بحرف مما جاءتهم به أنبياؤهم الا وإن من ذهاب العلم ان يذهب حملته - كررها ثلاث مرار..-اهـ باختصار.. وفي المعنى عند الطبراني في المعجم الأوسط [جزء 2 - صفحة 250] عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله قال : يقبض الله عز وجل العلماء قبضا ويقبض العلم معهم فينشأ أحداث ينزو بعضهم على بعض نزو العير على العير ويكون الشيخ فيهم مستضعفا) ..اهـ، وفي المعنى حديث عوف بن مالك الأشجعي- صحيح ابن حبان [جزء 15 - صفحة 115] بسند صحيح-: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى السماء يوما فقال : (هذا أوان رفع العلم) فقال له رجل من الأنصار يقال له : لبيد بن زياد :يارسول الله يرفع العلم وقد أثبت ووعته القلوب ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن كنت لا أحسبك من أفقه أهل المدينة) ثم ذكر اليهود والنصارى على ما في أيديهم من كتاب الله..!قال (جبير بن نفير الراوي عن عوف) ، فلقيت شداد بن أوس فحدثته بحديث عوف بن مالك فقال : صدق عوف.. ألا أدلك بأول ذلك ؟ يرفع الخشوع حتى لا ترى خاشعا)..اهـ قلت:والخشوع في الصلاة أو الخشوع لله محفز للنفس على الصدق مع الله وعدم الإشراك في الشهادة ..وإذا صح الحديث فإنه يدل على أن رفع العلم بدأ مبكراً في تاريخ المسلمين..ولا بد أن يبدأ التناقص في العلم بموت النبي (ص) نفسه، ثم تتابع الصحابة الكبار والمخلصين في الوفاة.. فقد قتل منهم مسليمة وجيوشه العشرات في حروب الردة والانفصال، وقتل منهم معاوية وجيوشه المئات في حروب البغي والانفصال..أما أهل الجمل والخوارج والثوار على عثمان فلم يقتلوا إلا أفراداً من هؤلاء..

[30] وحتى لا يكون كلامي نظرياً .. خذوا (قول الزور وشهادة الزور) ماذا يفهم منها عامة الناس؟ بل عامة العلماء؟ ..هل يدخلون في هذا المعنى الغلو في سلفهم وقولهم عنهم مالا يصح ولا يعقل؟ هل يدخلون في هذا المعنى شهادتهم لأنفسهم زوراً بأنهم على كذا وكذا من الفضل والعلم والتقوى وإرادة الحق..؟.. هل يدخلون في هذا المعنى نقص الناس من الخصوم أشياءهم بأن فيهم من المثالب كذا وكذا من أنواع الكفر والبدع والمعاصي والهوى ..الخ؟.. إذن فما معنى قول الزور وشهادة الزور؟ لقد تم حصره في الخصومات الفردية .. بألا تقول على جارك إلا الحق، ولا تبريء نفسك من الظلم.. الخ.. نعم الذهنية العامة للمسلمين لا تفهم هذه المباديء الكبرى إلا في أضيق نطاق.. مما لا أثر له في إصلاح الشأن العام السياسي والثقافي..

[32] وهي من شروط حياة الأمم والشعوب... وبفقدانها،... (لا حياة لمن تنادي)..

[33] البقرة ، آية 143 ... يجب الإشارة إلى أن مثل هذه الآية ممن فيها ثناء مشروط على الأمة كقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) يجعلها بعض المسلمين تزكية ثابتة، بينما هذا ما أراده الله منا..، ولا تتحق الخيرية إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأإيمان بالله، وكذلك لا نكون شهداء على الناس مادامت شهادتنا غير عادلة حتى شهادة بعضنا في حق بعض، لإغنها تنطوي على تظالم.. ولذلك أتى الحديث(لتتبعن سبل من كان قبلكم) مما يدل على أن الخيرية تكون في وقت دون وقت.. وفي أناس دون آخرين من هذه الأمة.. ومن هذا قول عمر (والله لو شاء لقال أنتم خير أمة..)الأثر ..فكان عمر رضي الله عنها يحصر هذه الآية في ببعض من سلف من الأمة مع تقدم عهده، فكيف بالأمة فيما بعد؟ والخير في هذه الأمة موجود لكنه في زمن أفضل من آخر، وفي أناس أفضل من آخرين..ومعظم المسلمين اليوم لا يصلحون للشهادة حتى على أنفسهم داخل المذهب الواحد، فالظلم فيهم فاشٍ، والجهل عاشٍ..

[34] آل عمران – آية 140..فالشهداء صفوة من المؤمنين.. يتخذهم الله ويصطفيهم.. ولا يستحق هذه المنزلة العظيمة إلا لمن ضحى بأشياء كبيرة لهذه المنزلة الكبيرة..وأكثر المفسرين يوردها في الشهادة التي يعنون بها القتل في سبيل الله.. والمعنى أعم من ذلك ..

[35] البقرة - آية 140.. وهذا يؤكد أن كتم شهادة الحق من أكبر الكبائر وأظلم الظلم..بينما هي فريضة غائبة تماماً عن كثير من السلف والخلف، ... والتفريط في الشهادات الكبرى التي لها أثر على الناس وعلى الثقافة من فهم الدين ودوره، أبلغ وأعظم جرماً من التفريط في الشهادات الصغرى في الأمور المحدودة من الخلافات بين الأفراد أو الحقوق الخاصة..

[36] ! المعارج – آية 33.. هذه الصفة العظيمة التي يجب أن يتصف بها المسلم، ذكرها الله مع الصفات الأخرى كالصلاة والزكاة.. وهي صفة شبه منسية تماماً..وخاصة القيام بالشهادة لله.. لأن القيام بالشهادة في إحقاق حق صغير، تبقى أقل فضلاً من إقامة الشهادة لله على وضع عام، أو ظلم فاشٍ، أو شخصية فاتنة، أو تحريف فقيه لدين الله..والشهادة تعظم بقدر عظمة ما تدفع من باطل أو تحيي من حق على وشك الموت!.

[37] البقرة –آية 283... وكتمان الشهادة أخشى أن يكون الأصل في المسلمين قديماً وحديثاً.. والاستثناء هو من يدلي بشهادته ..فكم من حق يعرفه المسلم ويسكت عنه؟.. ثم التعبير بإثم القلب دليل على أن الشهادة المكتومة لا علاقة لها بالجل بالحقيقة.. وإنما بما تهوى الأنفس! بالتعصب..

[38] النحل – 89..الشهداء على الأمم هم الرسل، ولكن ليسوا وحدهم فمن المؤمنين شهداء لله أيضاً على أقوامهم (ويتخذ منكم شهداء)، فاحرص أن تكون شاهد صدق، على عصرك أو تراثك، أو أي شيء ترى في شهادتك عليه حاجة.. وخاصة الوضع العلمي والثقافي ولو بكلمة.. فيما تعلم.. لكن تذكر أن تكون الشهادة لله وحده ل تشرك معه أحداً..

[39] المائدة – آية 108.. وهذا توجيه بأن تكون الشهادة كاملة ودقيقة..وألا يتم صرفها عن وجهها، فالبعض قد يعترف بأمر عظيم ثم يعتذر عنه بأمر يسير فتخرج القضية وكأنها متساوية الطرفين.. مثل من يدافع عن مجازر الحجاج وبسر بأن الضحايا يستحقون بعض ذلك! فهذا لم يأت بالشهادة على وجهها، وهذا يشبه من يدافع عن قاتل بأن المقتول لم يصافحه!فيظهر للقاضي وكأن الظلم سواء من الطرفين!

[40] البقرة - آية 282 ، وكل باحث عن الحقيقة مدعو اليوم لقول الحقيقة التي يعلمها.. يقولها لله، ليس لمذهب ولا سلطان ولا إقليم ولا صحبة محرضة ولا عداوة لدودة.. وكم من ممتنع عن الشهادة بالحق في هذا الزمان ...ولن يعدم تأويلاً من هنا أو هناك..

[41] آل عمران – آية 99.. هذا خطاب لبني إسرائيل وهو عام لكل مؤمن.. بأن الله يريد منك الشهادة فلا تظهرها معوجة.. بل تفقد نيتك أولاً وطهرها من إرادة التعصب والحكم المسبق.. ولا تصد عن سبيل الله ولا سبيل أي حق من آمن به.. ومن القبيح في حق الشاهد أن يستشهده الله فيخون الشهادة لدنيا فانية أو تزكية زائلة أو رضا متقلب في البلاهة.. ومن استشهده الله فخان الشهادة عمداً وهوى كانت عقوبته كعقوبة من بدل من بني إسرائيل..

[42] النساء – آية 69 والشهادة هنا بالمعنى العام الذي يدخل فيه المقتول في سبيل الله بشرط ألا يكون قتاله إلا لله.. لا حمية طارئة ولا عصبية لفئة ولا افتخار بقوة .. والحمية الجاهلية ليس منها الحمية على الدين والعرض والنفس والمال ونصرة المظلوم... فالمقتول دون هؤلاء هو شهيد..

[43] النساء – آية 135.. انظر الآتي..

[44] المائدة – آية 8.. في هاتين الآيتين أبلغ دلالة على عظمة الشهادة، فهي قيام لله بالعدل، وقيام لله بالشهادة، وجعل القيام متعلقاً بالله مرة، وبالقسط أخرى، يدل على أن من فرط في ذات الله كمن فرط في العدل.. والله هو العدل، ومن أسمائه العدل، والشهادة يجب أن تكون لوجه الله فقط

لا يشرك معه غيره، وأن تكون بالعدل لا يشرك معه هوى ولا عصبية، ولأن هذه منزلة لا ينالها كثير من الناس فقد قرن الشهداء بالأنبياء، وكانت الشهادة من أبرز وظائف وأهداف النبوة (إنا أرسلناك شاهداً) ومن أراد أن يفوز بوظيفة كبرى من وظائف النبوة فعليه أن يكون في مستوى هذه الوظيفة..حتى يكتبه الله مع الشاهدين.. ويلحقه بالذين أنعم الله عليهم..

[45] المائدة – آية 44... والعبرة بعموم اللفظ.. فلا يغتر مغرور بصيغة الخصوص هنا..

[46] هود - 18 ...قلت : هنا يكون الجرح الحق والتعديل الحق، لأن بصر الجميع سيكون حديداً، ورجال الجرح والتعديل يوم القيامة (الأشهاد) قد لا يكونون هم أصحاب الجرح والتعديل في الدنيا.. بل قد يكون هناك رموز من أهل الصولة في الجرح والتعديل ممن يشهد عليهم(الأشهاد) بأنهم كذبوا على ربهم..وأباحوا أو سوغوا الظلم في حقوق المظلومين جماعات وأفراداً.. فالآية ظاهرة بأن من لم يكن شاهد صدق في الدنيا لن يكون من الأشهاد في الآخرة، ولكن قد يكون من المشهود عليهم، ولم يخلصوا شهادتهم لله، كأنها محاكمة لمن تسموا (علماء وفقهاء ..)وهم يكذبون على الله، ويسوغون الظلم لكل ظالم..ولا ينصرون الضعيف ولو بكلمة .. ولا يسمعون حجته.. ولا يصدقون إلا من رضي عنه الظالم الكذوب.. وهؤلاء الجنس ممن يسمون علماء.. كثير جداً قديماً وحديثاً...وفي الغالب هم لا يجهلون الظلم وأهله ولا المظلومين ..

[47] الحج – آية 78 هذه ظيفة النبي (ص) وقد أداها كاملة.. وبقيت على كل فرد من أمته..وسيسقط فيها كثيرون.. اللهم لا تجعلنا منهم...

[48] الزمر – آية 69...هذه من آيات عظمة الشهادة، فهم يشهدون للأنبياء بأنهم قد بلغوا الرسالة ونصحوا، وإذا كان المعنى أن الأنبياء والشهداء في موقع واحد ضد المشركين والظالمين فهذه مرتبة عظيمة أيضاً، لأنه يدل على أن الشهداء يكونون في هذا الموقع هم الحجة على الأمم بعد الأنبياء..

[49] الأنعام – آية 150... وهذا دليل على وجب استقلال الشاهد، فلا يشهدبشهادة غيره من الظالمين أو المغفلين أو من يشهد بشهادة غيره، فيجب على الشاهد أن يشهد لله بما يعلم، وكأنه في محكمة قاضيها الله .. وعلى قدر تعظيمه لله تكون استقلال شهادته..وعلى قدر تعظيمه لشهود الزور ستكون متابعتهم، .. لا ترى عيناه إلا الله فقط عند أداء الشهادة..وأما من تابع أتباع الظالمين وشهد بشهادتهم.. وهم قادرون على استقلال شهادتهم فيندمون عندما يتبرأ (الذين اتُبعوا من الذين اتَبعوا)... والآية وإن نزلت في خصوص المشركين الذين كاوا يحرمون على أنفسهم أموراً لم يحرمها الله إلا أن العبرة بعموم اللفظ، فكل من تهور في التحريم يقع في الخطأ نفسه .. ولذلك فصل الله ما حرمه في الآيتين بعدها مباشرة ولم يهمل فيهما الأمر بالشهادة والعدل والقسط فهذه من أوجب الواجبات، : (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون (151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون (152))..ولأن الشهادة لله، فما تحته خط أرى أن المذاهب لها فيه تفريط كبير..خذ التقليد والتكفير واختلال الموازين واستحلال الدماء بالشبهات والغلو في العلماء والفقهاء وإبطان نية السوء...الخ، وهذا كله بالتقليد والتعصب قد يدخل المسلم في شيء من الشرك..

[50] الحديد - 19..الشهادة الحق لها نور يطرد كل الظلمات.. ويسفر عن الحقائق التي ما فتيء الأتباع يحبون خفاءها..الأمر عظيم.. ولكن أكثر الناس لا يعلمون..

[51] – النساء 41...

[52] – المائدة – 117.. وكذا محمد رسول الله (ص) وكل الرسل، يشهدون لأصحابهم وأتباعهم ما بقوا بينهم، فإذا غادروا هذه الحياة، فليسوا مسئولين عمن يعبد البشر.... والله شهيد على الجميع..

[53] القصص – 75..الشهداء من كل أمة هم أنبياؤها...والسؤال موجه لمن كذبهم وعاندهم..

[54] وكذلك أبواب وفصول كتب الفقه... أما كتب العقائد فتأثرها بالسلطة، وانتهاكها ما حرمه الله من حقوق المسلم، وما بثته من عقوابت وضعية، ومزايدتها على السلاطين الظلمة، ... فأمور ظاهرة جداً..(راجع كتابنا الآخر:قراءة في كتب العقائد)..

[55] صحيح البخاري [جزء 6 - صفحة 2633]، مسلم (3/1469)وغيرهم من حديث عبادة بن الصامت الصحابي العقبي البدري.. وهو من كبار الشهود على التغير المبكر في صدر الإسلام..

[56] ولن ندخل هنا الشهداء في عهد النبوة والخلفاء الراشدين، من سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر إلى علي بن أبي طالب (نهاية الخلافة) .. فهؤلاء محل إجماع على خلاف في بعضهم أعني من يظهر لنا أنه قاتل للدنيا أو شجاعة أو عصبية ...وإنما سنقتصر على شهداء التغيير ومقاومة الظلم في القرن الأول..فهؤلاء المغيبون عن الذاكرة الإسلامية قدآن لهم أن يذكرهم التاريخ ويطرز شهاداتهم بأحرف من نور ...

بحث يلقي الضوء على السلطة وأثرها في الحديث

دار طوى

1431 هـ -2010م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة السياسية

هذه المقدمة أرى أن أثبتها في كل كتبي اللاحقة، فهي فيما أرى كاشفة - إلى حد كبير - لكل هذا البلاء الذي ورثناه، كاشفة لكيفية حدوثه، ومن أحدثه، وكيف تم قبوله ..الخ.

وليسمح لي المتخاصمون من إسلاميين وليبراليين، أو من قرآنيين وأهل حديث، أو شيعة وسنة، وسائر هذه التيارات والمذاهب التي يشهدها العالم الإسلامي..

أريد أن أخرج بفكرة تعبر عن قناعتي، لا أراعي فيها قناعات الآخرين، سواء كانوا من هذا التيار أو ذاك..

وحتى يفهمني القاريء أحب أن أعطيه الخطوط العريضة لما أؤمن به حتى الآن .. وهذه خاصة لمن يؤثر فيه تصنيف المؤلف أو الباحث ..

لا أخفي على القاريء الكريم أنني مررت بتحولات فكرية متقاربة، من سلفي متشدد ووهابي تكفيري وسروري – بلا علم- إلى تبليغي متجول إلى شاك في هذه المنظومات كلها، إلى ناقد لها، وصاحبت الجميع بحسن نية، وإلى الآن لا أبغض أحداً لمذهبه، وغنما لظلمه إذا ظلم، كما لا أعادي مذهباً ولا شخصاً، إنما أعادي الأفكار وأدفع عن نفسي ما أمكنني دفعه، خاصة وأنا أعيش في وسط سلفي وهابي ظالم، جردني من كل شيء أستحقه من كتابة إلى سفر إلى عمل إلى تأليف، واستعدى عليّ الصعب والذلول، القريب والبعيد، العزيز والذليل، وقد يأتي يوم تسمعون باغتيالي وتقييد ذلك ضد مجهول، لذلك فأنا لن أكذب مع قرب الرحيل وأزوف الانتقال، ولابد أن أقول شهادة لله وحده، تنفعني في الآخرة، وأنا شاهد على عصري وعلى موطني وعلى المذهب الذي عرفته وتربيت على تعاليمه وخيره وشره، فلن أجامله ولا أجامل وطني على حساب الحقيقة، فالوطن تراب، والحاكم بشر، والله فوق الوطن والحاكم والشعب والعلماء والقصة كلها.

وهذه مع بداهتها لا يكاد يقولها أحد..

اعني لم أسمع في وطني سلفياً يوماً من الأيام يقول إن الله أعلى وأجل من الوطن، والشهادة لله لا للوطن ولا للدولة ولا للسلطة، ... هذه الروح بدهية عند السلفية ولكن لماذا لا يقولونها؟ فالبدهيات تقال، ويجب قول هذا في كل مكان، في السعودية وإيران ولبنان ومصر وسوريا.. لا أعاتب المنتفخين وطنياً وسياسياً.. إنما العتب على من يعرف أن الله فوق كل شيء.. ثم يستحي ألا يصرح بهذا أو يخاف!

ألا ترون في هذا تناقض؟ إذا كان هذا لا يزعج أحداً فلماذا نشعر كأنه لا دين إلا ما رضيت عنه السلطة والعلماء، ولا منكر إلا ما أنكروه... أين الدين؟ أتابع أم متبوع؟

المقصود أنه أثناء هذه الرحلة وصحبة الجميع وحسن الظن بالجميع هداني الله إلى تدبر نسبي للقرآن الكريم وقراءة أكثر للسيرة النبوية ومراقبة كافية للتاريخ، ومعرفة كثير من الظالمين من العلماء والسلاطين، وقليل من العادلين من العلماء والحكام، وتمكنت من تمييز الصحيح من الروايات والأحاديث لتمكني إلى حد كبير من علم الحديث الذي لا تتكشف مذهبيته وعصبيته إلا بالوعي التاريخي، فأنجاني الله من براثن الغلو والشك في النبوات بأمور أبرزها الوعي التاريخي ثم تبعه زمنياً تدبر القرآن الكريم، وبدأت بعد تدبر القرآن الكريم، ومعرفة خطوطه العامة من العدل ومقاومة الفقر ونصرة المظلومين ... الخ إلى قراءة التاريخ ومعرفة سلوك السلطة وقوة تأثيرها على الفكر، واستطاعتها قلب الحقائق، وتتبعت سير السلاطين والفقهاء الذين عاندوا هذه المبادىء القرآنية الكبيرة، من عدل وعقل وحقوق وشهادة لله ومقاومة الفقر..الخ، وعملوا على إشغال المسلمين بصغائر الأمور من صفات وفضائل صحابة وقضاء وقدر وتوحيد مزعوم وشرك وبدع وضلالات..الخ، والتفريق بين الناس هو الهدف الرئيس من هذه الثقافة السلطانية، ورافق ذلك اضطهاد من الصالحين (ذلك الصلاح الحق الذي يجتمع مع العقل والعلم والعدل والشهادة لله وحقوق الإنسان وفهم الآخر ..الخ) وليس ذلك الصلاح الوهمي المذهبي الذي يتركز في تزكية النفس والمذهب وموالاة الظالمين ومعاداة العادلين، وبغض الصالحين، ذلك الصلاح المزعوم الذي يهجم بالأحكام على المسائل

والأشخاص، ويقلب الدين رأساً على عقب فيعظّم صغائرة ويهوّن عظائمه، ، ويخاصم في المظنونات ويهمل القطعيات..الخ

أنا الآن أرجو أن أكون مسلماً معتدلاً سنياً في غير غلو، محباً للصالحين من الأمة من صحابة وأهل بيت وعلماء، منحرفاً عن ظالميهم من صحابة وهاشميين وعلماء، لا أؤمن بعصمة أهل البيت ولا بعدالة الصحابة، ولا أهتم إن صنفني من شاء في السنة أو الشيعة أو النواصب، إلا أن معرفتي بنفسي أني سني حر محب للصالحين والعادلين من أي مذهب كانوا.. منفتح على الإنتاج الإنساني، متعاطف مع كل مظلوم من أي دين كان، ممتن لكل من قدم للإنسانية خدمة ولو كان وثنياً.. مبغض لكل ظالم ولو كان مسلماً ومصنفاً في العلماء العباد..

ولذلك ليسمح لي الأخوة القراء؛ أن أتخذ لنفسي طريقاً وسطاً، ليس لأنني أرغب في تجنب الاختلاف مع التيارات والمذاهب فهذا غير ممكن، فلكل مذهب بدعة، ولكل تيار صبوة، أنا لا أخشى من الخصومة، إنما أخشى أن أكون عابداً لهذا التيار أو ذاك المذهب، أريد أن أطرح فكرتي التي تعبر عن قناعتي، ستجدون فيها تمسك بالقرآن أولاً ثم الحديث ثانياً (ستجدون قرآناً إلهياً غير القرآن الذي حوله المتمذهبون إلى قرآن مذهبي، وحديثاً غير الحديث)! لكن أقل الحديث لا أكثره للأسباب التي سأبديها في هذا البحث، إلا أنه من حيث الجملة لا أنكر إلا ما عارض القرآن الكريم والعقل الصريح والمباديء الإسلامية العامة، مراقباً أثر السلطة في هذا الحديث الذي هو المزود الأساس للفقه والعقائد والتفاسير والكتب السلوكية ..الخ.

ولنبدأ بما يعرف الناس، لننتهي منه إلى ما يمكن أن ينير لنا الطريق ويفك الرموز الكبرى للمسلمين،

فمن الملاحظ باديء ذي بدء.. إن النزاع والتفرق بين المسلمين وتفشي الشحناء والبغضاء والأحقاد بينهم، ليست – فيما أعلم – بين أتباع أي ديانة أخرى..وضعية أو سماوية.. ولا يحمل أمراضهم أي تيار أدبي ولا فلسفي ....

هذا بلاء عند المسلمين فقط.. اختصوا به من بين سائر الأمم والشعوب، بقي معهم على طول الزمان، وتغير الأحوال، .. الأمم تتغير نحو الأفضل في نشر السلام فيما بينها، ويبقى المسلمون في التمسك بشرعية البغضاء، والتنفير والتكفير وتبرير كل الجرائم في حق بعضهم البعض، فمن أين أتى هذا كله؟..

العامل الأكبر – عند التأمل والإنصاف- لهذا الداء الأبدي والسرطان المقيم هو السلطات الظالمة عبر القرون، التي صنعت إسلاماً سلطوياً مرادفاً للإسلام الإلهي، واستطاعت بمكر يزيل الجبال أن تمزج بين الإسلامين، فتخرج منهما إسلاماً واحداً بعناوين إلهية ومضامين سلطوية، وهنا اكتملت الفتنة وعم البلاء وأصبحت المسئولية مضاعفة في كشف هذا الركام التاريخي الكبير الجاثم على صدر الإسلام الإلهي العتيق، حتى أصبح الظلم يتم باسم الله ورسوله وبهذا نجحت السلطة في تحويل الإسلام من رسالة سماوية عادلة إلى سوط سلطة ظالمة ..

هذه النتيجة المخيفة والمسيئة إلى القرآن والنبي محمد صلوات الله عليه) لا يتنبه لها أكثر علماء المسلمين لأنهم نتيجة أخرى من إفراز هذه النتيجة الكبرى المؤلمة، ومن علم منهم وسكت فقد خان الله ورسوله(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160) [البقرة : 159 ، 160]) وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (174) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (175) [البقرة :174 ، 175].

يجب ألا نستغرب سكوت العلماء وإنما نستغرب ممن يستشكل سكوتهم! لأنهم ليسوا إلا نتيجة من نتائج السلطة، ولم يتعلموا إلا إسلام التاريخ، لم يعرفوا بعد الإسلام الإلهي المسطور في كتاب الله لأنهم لا يستطيعون إلا

أن ينظروا نظرة السلطة نفسها، فهم لم يتعلموا القرآن خارج منظومة السلطة الفكرية من عقائد وأحاديث وتفسير ..الخ.

إذن فنحن نحملهم ما لا يطاق عندما ننتظر منهم أن يبينوا ولا يكتمون ...

هم لا يرون أنفسهم كاتمين للبينات والهدى .. لأن البينات والهدى عندهم هي نفسها الإسلام التاريخي الموضوع من السلطة لا الإسلام الإلهي المنطلق من القرآن الكريم والسنة الحق..

وعلى هذا لا يستطيع البيان إلا من كان له علم بأمرين:

الأول: العلم بغايات القرآن الكبرى (أهداف الإسلام الكبرى)

والثاني: الوعي الكبير أو الكاف بالتاريخ الإسلامي القديم (إلى أيام التدوين) ومدى انعكاسه على التراث وخاصة (الحديث) لأن الحديث هو المزود الأكبر لبقية المجالات الأخرى كالتفسير والفقه والعقائد.. فكل هذه الفنون تتبع الحديث وتنزف منه وتسقي أرضها وتزرع نبتها، فالوعي التاريخي من أكبر الأسباب الكاشفة لأثر السلطة في هذا الحديث، ثم في عمليات الانتقاء منه والإخفاء والإعلان والبتر وإخراجه من الاستظلال بظل القرآن إلى نقله إلى أفران السلطة.

وهناك عوامل أخرى ساهمت في هذا التخريب الديني، من ضعف العقول والضمائر وأنواع الإغراءات العاجلة، لكن السلطة وحديثها كان هو العامل الأكبر والمؤثر.. سواء من حيث الكثافة في موضوعات صغرى وبالتالي المزاحمة للأمور الكبرى، أوالانتقاء أوالبتر أو التحريف، أو وضع الصحيح في غير سياقه،...الخ فهذه كلها عمليات شيطانية تعرض لها علم الرواية والحديث، وكان له أبلغ الأثر في إخراج الدين من دين العدل إلى محرض على الظلم، ومن دين العقل إلى دين الحمق، ومن دين العلم والمعرفة إلى دين التقليد والجهل وكراهية المعرفة،.. فهذا الاختطاف الكبير للدين ونقله من موضوعاته الكبرى العظيمة إلى موضوعات مضادة صغرى وتافهة ومسكنة.. كانت خطوة شيطانية جبارة، لا يمكن أن تتم دون دهاء السلطة وسوطها ودينارها وسجنها وسيفها وإعلامها.

وسيأتي شيء من التفصيل المبرهن على تبني السلطة لهذا المشروع من القرن الأول حتى أصبح منهجاً سياسياً مذهبياً.. ترك آثاره السلبية على المعارضة فكيف بفريق السلطة؟..

وكان رجال الدين لحمقهم وجشعهم وضعف عقولهم وضمائرهم هم العرابون الأساسيون الذين قام على أكتافهم وفتاواهم القضاء على الدين الإسلامي قضاءً شبه تام، عبر فتاواهم المازجة بين الدين والظلم،

فتشوهت حقيقة الدين بالظلم؛ وتحسنت بشاعة الظلم بالدين، وكان رجال الدين هم أسهل وأمتع مركب للسلطات الظالمة، إذ استطاعت السلطة – مع وسائل تأثيرها الأخرى-أن تبني على ظهورهم وأحاديثهم وفتاواهم وخصوماتهم ديناً آخر أسموه (دين الإسلام)أيضاً، فاستطاعوا به ضرب كل إصلاح والقضاء على كل أمل .. وبلغ تأثير السلطة درجة مخيفة.

حال المسلمين اليوم إنما هو نتيجة حالهم القديمة:

انظروا إلى العالم اليوم، لا أحد في هذا العالم يستطيع زرع فتنة دينية في الهند التي بها (500) ديانة، ولا بالصين، ولا بأوربا.. ولا أمريكا..وإن زرع اليوم يفشل غداً.. ولكن كل أحد يستطيع وبسهولة أقامة فتنة مستطيلة الزمن عميقة الأثر في حي فقير من أحياء بيروت أو بغداد أو المدينة أو مكة أو صنعاء أو إسلام أباد أو كابل...الخ..

لماذا هذا التباين في الحالتين؟

لا يكفي القول بأن المسلمين حمقى وأغبياء من بين أمم الأرض.. ولا بأنهم أقل الشعوب رحمة وإنسانية .. ولا بأن عقولهم أصغر من عقول البشر، أو أن لوثة فطرية قد طمست على قلوبهم.. فضلاً عن القول بأن دينهم يدعو للكراهية والبغضاء والشحناء والغش والكذب والتحايل...الخ.

لا يكفي هذا التعميم، لابد من تخصيص الرؤوس .. فكل رأس من الحمقى يتبعه ألوف، فإذا وجدنا أن أهل الدين هم أكثر من تتفشى فيهم هذه الأمراض، فتجدهم - من حيث الجملة- من أقول الناس بالجميل وأعملهم بالمعصية، ومن أعدلهم في العمومات وأظلمهم عند التفصيل، وأكثر الناس

دعاء للظالمين، وأشدهم دعوة على المظلومين، ومن أبعد الناس عن القطيعات، وأجزمهم في الأوهام، ومن أقول الناس بالكذب على الله ورسوله، ومن أقلهم أمانة مع القريب والبعيد، ومن أكثرهم شكاً في البدهيات، ومن أقواهم تمسكاً بالظنيات، ومن أعرضهم عن آيات الذكر الحكيم ومن أقولهم بالآثار والأقوال الخصومية.. ومن أكثر الناس تعبداً بالمعاصي الكبرى، ومن أجلدهم على الطاعات الصغرى.

كل هذا مع طول لسان وبسط بنان وسلطة ظاهرة وعامة تابعة..حتى أصبحوا بهذا أشذ أهل الأرض عن أهل الأرض، وأبعد أهل الأرض عن أهل السماء، ألا يعطي هذا شكاً عند الكفار والملحدين وغلاة العلمانيين بأن بلاء المسلمين في دينهم، وأن الدين هو طابخ الأمر كله؟! فالدين كل هذا؟ أليس في هذا فتنة لمن لا قدرة له على تدبر القرآن وتقييم روايات السيرة والحديث؟!

الجواب بلى؛ خاصة عندما يسمع هؤلاء - (من كفار وغلاة علمانيين)- عندما يسمعون كبار العلماء والمشايخ والدعاة وهم يحتجون لهذه الأمراض البشرية بالأدلة الشرعية.. محتجين على دعم كل تخلف بأدلة قرآنية وأحاديث نبوية؟ أليس في هذا صد عن دين الله؟

انظروا إلى كراهيتهم المختلف في الرأي أو العقيدة و التأويل وإن كان مجتهداً عادلاً صادقاً أميناً..وعلى محبتهم الموافق ولو كان ظالماً كاذباً آثماً فاجراً..؟!

أليس هذا أكبر تحريف للدين وأبلغ تشويه للإسلام ؟

أليس هذه الطبقة من المتمذهبين – الممكّن لهم في الأرض ممن يقاربهم- أولى بالمقارعة ودحض التلبيس وأظهار العلم وتحريم كتمانه؟

هؤلاء أولى برد شبهاتهم من الملحدين.. لأن الإسلام لو عرضناه بحقوقه الإنسانية وخطوطه القرآنية العامة ومشروعه الحضاري الجامع لكان ذلك أبلغ في الدعوة وأنفذ في الصيت وأوقع في الحجة والبرهان.. ولما احتجنا للمؤتمرات في تصحيح صورة الإسلام غرباً وشرقاً[1]..

الإسلام يحتاج لجهد استثنائي لإخراجه من تحت الأنقاض التي خلفها القصف السياسي، والتفجير المذهبي... نحتاج لخطة طويلة الأجل لإحياء القرآن الكريم ومنه نتعرف على ما صح من السنة، ولابد من استبعاد محاصرة القرآن بدعاوى النسخ والتخصيص والتفسير وضرب بعضه ببعض أو معارضته بما لا يمكن ثبوته من حديث مرفوع أو أثر مقطوع أو دعوى إجماع كاذبة أو نحوه من تلك السبل الكثيرة التي فصلت ثقافتنا عن هدي القرآن الكريم .. وأصبحت الدعوة إلى القرآن شتيمة وسبة، بينما الدعوة للسنة ولو ضعيفة فضيلة، والتمسك بأقوال المفسدين للدين من السلف من علامات حسن التدين والإتباع..

أمة تخجل من التصريح بمرجعية لقرآن وتعتبر العودة للقرآن عاراً كيف نقول إنها أمة إسلامية؟

هذه مجالس المسلمين معروفة للجميع، ما إن يحتج أحد الحاضرين بآية حتى يقول معارضه :ولكن فيه حديث يقول كذا وكذا!

أليس في هذا تسليم ضمني بأن القرآن في مكان والحديث في مكان آخر؟

كيف تنجح الأمة دينياً مع اعترافها الضمني بهذا الانفصال الفج عن مصدر الهداية ومفصل التحاكم؟

كيف وهذه الأمة تصم من قدم القرآن على مظنون الحديث من نادى بهذا بوصم (القرآنيين)[2] وكأن الانتساب للقرآن عاراً حتى مع استصحاب السنة، بينما يصبح الانتساب للسنة فخراً حتى مع استبعاد القرآن ..

كيف يصبح هجرة القرآن وأعداؤه العمليون أعلاماً للسنة والإتباع؟

بينما متدبرو القرآن والعقلاء في خانة الزيغ والابتداع؟

مع أن حرب القرآنيين للسنة أخف بكثير من حرب السنيين للقرآن، وإن كانت حربهم خفية وليست فجة، لذلك لا يدركها إلا القليل من المتأملين..

فالمسألة بين القرآنيين والحديثيين مسألة ترتيب أدلة، فهناك من يقدم القرآن قولاً وعملاً مع قليل من الهجر للسنة.. وهناك من يقدم (مختلط السنة) مع هجر عملي كامل ومقصود للقرآن الكريم..

على أن مسمى(السنة) قد أخذ عبر التاريخ مفهوم (الرأي العام) للسلطة ، وهناك استخدامات مختلفة للمحرضين على السنة، فمنهم من يقصد سنة النبي (ص) وهؤلاء قليل في المتقدمين كثير في المتأخرين، ومنهم من يقصد (الرأي العام المدعوم من السلطة)وهذا كثير في المتقدمين قليل في المتأخرين، وليس هذا الكتاب في تفصيل ذلك..

إذن فليس بالضرورة عندما نجد الوصية بالسنة من أحدهم أن يراد بها سنة النبي (ص)..

ولهذا تفصيل طويل.. فالألفاظ التي يسمعها البسطاء ليست لها معاني ثابتة ..

المسئولية العامة:

المسئولية الخاصة تقع على السلطة والعلماء، وأما المسئولية العامة فتقع على المسلمين جميعاً، لأنه لا سلطات تقف أمام المعرفة والشهادة لله، فمن قامت عليه الحجة من المسلمين وجب عليه القيام بواجبه، فقد طال السكوت، وما هم عليه المسلمون من إضاعة المباديء الكبرى للإسلام لم يكن وليد صدفة، ولا مؤامرة وافدة، ولا نتيجة أمر ديني أو إنساني، ولا استجابة لعقل أو ضمير..وإنما هو نتيجة طبيعية لإضاعة أو محاربة أو تقزيم المباديء الكبرى التي أتى بها الإسلام .. من العدل الفاصل، والصدق الكامل،وحرية الإيمان وقبول الرأي، وقول الحق بلا خشية، وإقامة الشهادة لله، والعدل ولو مع الخصوم، ونبذ التعصب للأقربين، فضلاً عن الطائفة والمذهب.... هذه مقدمات حضارية كبرى، وضمانة لقوة أية أمة في نفسها، وبقائها بين الأمم ... والتفريط في هذه المباديء العامة – فضلاً عن محاربتها-ستؤدي قطعاً إلى التفريط في دعامات البقاء.

وكانت البداية في النزاع السياسي الذي أدلى بأفكاره صحيحة أو سقيمة إلى الناس، ومن قَصُرت حجته أطال سيفه، فطالت معه الفكرة ملوثة بالدماء، كما فعل سيف السلطة بلسان السنة، وبالمهزوم سياسياً أو عسكرياً (كالخوارج والشيعة والمعتزلة)، إما أن يفجّر أفكاره في وجوه الجميع كما فعل الخوارج، وإما يغرز أفكاره في الأرض ويحيطها بالكتمان، كما فعل الشيعة..وأما أن يخاطب الخاصة دون العامة فيهلك في أشهر مع أي انقلاب سياسي كما فعل المعتزلة.

ومع التقاطع والتقاتل ذهبت التعارف والتنوع ..وحرص أصحاب المذاهب على الفرز المذهبي والاصطفاف الطائفي ثم تأصيل النزاع ومع الصراع الدائم ذهب التعارف، وأصبحت المدرسة تستغرب أختها أكثر من استغرابها للأديان الأخرى..هذه الثلاث طوائف (السنة ويدخل فيهم النواصب، والخوارج ويدخل فيهم الأزارقة، والشيعة ويدخل فيهم الباطنية) فكان الصراع الأبدي الذي نراه اليوم بين المسلمين، الذي ما إن يسد من جانب حتى ينفتق من جانبين، ..المؤدي للتنازع المستمر ثم التفكك النازف، ثم الهزيمة والانهيار في نهاية الأمر..

ونحن اليوم نرى هذا الانهيار والتفكك والتخلف ونشهده على كل المستويات.. وإن كان سلفنا الصالح منهم وغير الصالح ربما اغتروا بالانتصارات السريعة التي شدت إليها الأبصار، وألهت عن الأفكار، بل عن القيم الدينية والواضحات في القرآن والسيرة، هذه الانتصارات السريعة رغم ما صاحبها من تعدٍ على الأوامر الشرعية، إلا أن أبلغ خطيئة ارتكبها أهل الثقافة (وهم علماء الشريعة يومئذ) أنهم أصبحوا كالشعراء.. لا يهمهم تحليل الظاهرة إلا بما يرضي السلطان، ويسكت عن الطغيان، ونية السلطان – في أغلب الفترات- لم تكن لنشر إسلام ولا إزالة أصنام، كما يظن من لم يقرأ التاريخ، كان هناك هدفان، إشغال العدو الداخلي بالاشتباك الخارجي، ، منجنيق بيد قتيبة بن مسلم، وآخر يهدم الكعبة .. وضاع الناس بين أمر الجهاد وإهلاك العباد... تمددنا في الأرض ولم نرتفع إلى السماء.. وبقدر الطول نأخذ من الارتفاع، فكانت النتيجة جمود الآليات السياسية إلى الأسوأ، حتى أصبح السلطان آلهة معبودة،

والثقافة وائدة وموؤدة، يفتي السخيف فيها بقتل الضعيف، فكثرت الأموال المنهوبة والرؤوس المنصوبة...واليوم نستفيق على وضم مجّده الأسلاف، بيننا وبينه سور الأعراف، فلا دنيا بقيت لنا بعد النجعة.. ولا ديناً حافظنا عليه قبل الهجعة، فنحن بين التغني بانتصار قد ذهب، والتحلي بتصحيح لم يبدأ، ونحن بالموضعين، نُسحق برحى الوَهْنَين.. ولو أتينا البيوت من أبوابها لعرفنا الهدى من قريب.. فليس البقاء في تملك البلاد، ولا امتلاك رقاب العباد.. فالدنيا تنال بأقرب من هذا ، والدين لا يقوم على إزهاق هذه النفوس..

إذن فهذا الواقع اليوم يجعل من أراد المراجعة الذاتية، أن يعيد النظر في ما كتبه الأسلاف تحت حوافر الخيل وبياض السيوف، .. إذ أننا اليوم نرى النتائج وأسلافنا لم يروها، رأينا أن الدولة الإسلامية تهاوت وتفككت وتنازع أهلها وتفرقوا شيعاً، وتسلط عليها من كانت تتسلط عليه، بعد أن استفاد ذلك المهزوم من الهنات وطور الذات، وبقيت هذه الأمة تتغنى بأمجادها وتطوي مكامن الخلل وتمنع من مناقشته، إلى أن تسلط عليها أهون الأمم وأقلهم وهُزمت أمامه في كل المجالات ، وهذا الخلل الكامن في ثقافتنا قديم، كان أوله خفيفاً فتركنا معالجته فتطور وتضخم حتى نثر جسد الأمة من داخلها، والقرآن الكريم يعلمنا أن نفتش على أنفسنا عند أي مصيبة تجري علينا(وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)، لكن لم نفعل وأخذنا نحيل أمراضنا على الآخرين، فالحريق داخل بيوتنا لكننا نخرج منها لنرى من أين أتى هذا الحريق؟! وكان الأولى إطفاء الحريق أولاً ثم معرفة مصدره بعلم ثم اتخاذ سبل الوقاية من تكرار الحريق، ولنا اليوم 1400 سنة ونحن فوق سطوح البيوت ننظر بالمناظر من أين أتانا هذا الشر المستطير، هل هو من الجيران، أو من غرباء طرؤوا على الحي، لكن لم نسأل أنفسنا ما إذا كان أحد سفهائنا أو أطفالنا قد تسبب في هذا .. وإذا كان هذا المثل للتقريب، فإننا نذلف منه إلى القول بأنه لابد من التفتيش عن بداية الانحرافات في ممارساتنا، وخاصة الثقافية منها، لأن الثقافة هي مفتاح كل المجالات الأخرى، فهي المجال الوحيد المؤهل لإصلاح نفسه، ثم إصلاح المجالات الأخرى، فقيام الثقافة بإصلاح

المجالات الأخرى قبل إصلاح نفسها كمن ينجد مبتوتين بأكياس من قمح رديء، والكيس الواحد فيه مئة خرق، كل خرق يتسع لثلاثة فئران، والدابة سيئة الركض، ترج الأكياس كالغربال بين يدي ساخط، فهذه النجدة لن يصل منها إلا ما أحاطت به الحبال أو استقر على ظهور البغال!..

وكل مجال آخر كالسياسي مثلاً، لا يصلح لإصلاح الثقافة، لأن الميت لا يعالج المريض، والسياسة لن يصلح من هزيل الثقافة شبراً إلا وقد أخذ ت من سمينها باعاً.. ولن تصعد إليها ماشية ولو بسفح إلا وقد انحدرت الثقافة نحوها هرولة، كجلمود صخر حطه السيل من علِ ..، والتي لابد أن يكون من أهمها هو التظالم، سواء مظالم المسلمين في حق أنفسهم أوفي حق سائر الشعوب.. والشجاعة تكون بمراجعة الناتج الثقافي لأن عليه مدار كل الإصلاحات، ومنه كل تجديد..

الظلم هو الغالب..في تاريخ المسلمين.. وتبعية الثقافة..

هذا لا يعني إن تاريخ المسلمين كان أسود حالكاً.. فهناك فترات لدولة العدل، وتطبيقات في بعض الدويلات هنا وهناك، ومحاولات نظرية عند بعض الفرق الهامشية .. ولكن الأعم الأغلب على الدولة الإسلامية في القرون الثلاثة الأولى هو الظلم والانحراف الكبير الذي أنتج ثقافة تتناسب معه إلى حد كبير في الظلم والاستبداد وحب التفرد وانتهاك حقوق الإنسان..

وهذا يعني أن ينعكس هذا الظلم على التراث، فيتأثر التراث بالسلطة لأنه مهزوم وهي منتصرة، وهذا بالتالي ينتج ضعفاً معرفياً بالإسلام في معانيه الكبرى ورسالته السامية؛ ولذلك عند مقارنتنا للقرآن الكريم مع كتب الفقه والحديث نلحظ الفرق الواسع بين موضوعات القرآن الكبرى والموضوعات التي كتبها أهل الفقه والحديث[3]... أما أصحاب العقائد فأغلب موضوعاتها على الضد تماماً من الأوامر القرآنية .. وهذا التراث الذي ورثناه، كلنا نعترف أن فيه الحق والباطل، ولكن أين الحق وأين الباطل وما نسبة هذا وهذا .. هنا تفترق الطرق.. بحسب القرب من السلطة والبعد عنها.. وليس وفق معايير علمية موضوعية .. لأن المعيار الأكبر

(القرآن الكريم)مهجور! ومحرف عن مواضعه، وكذا المعايير الأخرى .. فالسنة غير معلومة بدقة (وقد اختلطت فيها سنة محمد (ص) مع سنة الحجاج)، والإجماع غير متحقق، والعقل وإن كان مشاداً به في القرآن (المهجور)، إلا أنه مسخوط عليه في العقيدة المذهبية..

الفراغ الهائل الذي نتج عن هجر القرآن الكريم..

أستطيع أن أضيف قائلاً : إنه فضلاً عن تأثير السلطة في التراث لتأثيرها في أهل الفقه والحديث والعقائد والتفاسير، إلا أن التراث والسلطة كليهما كانا نتيجة طبيعية جداً لهجر المسلمين للقرآن الكريم .... وهذا ظلم اشترك فيه الجميع إلا من رحم الله..

وفي يوم القيامة (يوم يعض الظالم على يديه) لن يشتكي الرسول (ص) يومئذ من كفر الأمم الأخرى، وإنما يشتكي من أمته التي أرسل إليها... وشكواه تتركز في موضوع واحد فقط...وهو بالتحديد هجرهم للقرآن الكريم (وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا).. ولن يقولها الرسول (ص) إلا صادقاً.. واعترافنا بهذه الحقيقة المرة لعلها تكون أول الطريق وأول خطوة من خطوات التواضع.. وترك تزكية النفس المنتفخة بفراغ الخصائص والمزايا والتاريخ المجيد..نحن لا نبحث عن انتصار أعمى .. وإنما عن بقاء معنى..

على كل حال: لا بد أن نتفق على أن: ..

على أن هذا الهجر للقرآن الكريم من الطبيعي جداً أن يخلِّف فراغاً هائلاً..

لأن كتاب الله ليس هيناً.. وهجره لن ينتج عنه فراغ يسير؛ يمكن سده بأحاديث وآثار ومواعظ وحكم من الشعر والنثر..كلا، كتاب الله عظيم..

ولابد أن يكون لهجره آثار عظيمة تتناسب مع عظمته....

و لعل من أول وأظهر وأعظم وأسوأ آثار هذا الهجر شعور المسلمين بكل مذاهبهم أنهم لم يهجروا القرآن الكريم..! وأنهم على التزام كامل به، وأنهم يسيرون في هديه، وأنهم من أنصاره وأتباعه والمعتنين به... هذه أكبر

شهادة زور في التاريخ..لأنه على هذا الرأي – وهو الثقافة التقليدية للمذاهب الإسلامية كافة – يكون المسلمون مكذبين عملياً لا نظرياً بالآية الكريمة التي تتحدث عن شكوى الرسول من هجر قومه (أمته) للقرآن الكريم، إذ لا يرى المسلمون أن النبي (ص) سيشكو إلى ربه هجر المسلمين للقرآن الكريم! لأنه محل عنايتهم وحفظهم وتجويدهم!

وليس بعد هذه المخالفة مخالفة.. ولا بعد هذه المكابرة مكابرة..

إلا الإنكار لهذه الحقيقة، هذه مكابرة أعظم...

أي الإنكار بأن هذا ليس الفهم العام المستقر في عقول علماء المسلمين فضلاً عن العامة.. وهذا من أكبر أدلة هجر القرآن الكريم.. إذ لو تدبرنا القرآن الكريم كما يجب لوقفنا عند هذه الآية كثيراً.. وتخوفنا منها واتهمنا أنفسنا..وخشينا أن نكون من هؤلاء الهاجرين لكتاب الله.. والغريب أن بعض الناس يخشى على نفسه من أوهام الكفر، ويترك صريح الهجر..يشغل نفسه بما ليس فيه، ويترك ما بين جنبيه..لأن هذه الخشية زرعها المذهب فقط، ولأن هذا الهجر صرح به القرآن فقط!

أغلب علماء المسلمين فضلاً عن عامتهم يظنون أن مجرد التلاوة والتعهد للحفظ والتجويد يتنافى مع هجر القرآن الكريم..! وهذا وهم كبير (إن يتبعون إلا ظناً وما تهوى الأنفس).. فتلاوة القرآن الكريم بعقول مذهبية أوإقليمية أو وطنية لن يزيد قارئه من فهم القرآن إلا بعداً... لماذا؟ لأن قاريء القرآن الكريم اليوم لا يقرأه إلا من خلال ما يعرفه من المصطلحات المذهبية والوضعية ...التي وضعها التاريخ بسلطته السياسية والمذهبية.. ولن يستطيع الخروج من هذا القمقم إلا بإرادة استثنائية.. تقفز على النفس أولاً وعلى الواقع المعرفي السائد ثانياً..نعم ؛ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها .. ولكن هذا التكليف لا نعلمه، وهذا الوسع لا نبذله... رضينا بالحياة الدنيا.. فأحاط بنا الدنو من كل جهة[4]..

إذن فهجر القرآن الكريم أيضاً كان نتيجة من تلك النتائج التي أفرزتها السلطة، وتدبر القرآن الكريم أصل من الأصول القرآنية التي أهملها المسلمون إلى حد محزن ومؤلم..

هذا التفريط القديم في الالتزام بالأصول الكبرى من الأخلاق والحقوق والمباديء القرآنية والنبوية؛ كان لابد أن يوصلنا إلى ما نحن فيه اليوم[5]..وما نحن فيه اليوم قد يكون أفضل مما وصلنا إليه نهاية القرن الأول.. فهناك اليوم دراسات جادة وصلت إلى ما خفي على كثير من السلف الأول، ولكن الناس لتأثرهم بالسلطة لا يقيسون النجاح إلا بمقدار مايفتح من البلدان ويجلب من الأموال ويخمد من الثورات!.. ولو كانت مقاييسهم وفق المباديء العامة للإسلام لعرفوا أن الظروف اليوم أفضل.. وأن سلفنا لو علموا بظروفنا لتباكوا على زمننا بدلاً من أن نتباكى على زمانهم[6]..

خيرية القرن الأول في ماذا؟ :

خيرية القرن الأول ليس بعدد القاتلين وإنما بعدد المقتولين، لا نصيب في هذه الخيرية لسلطة الظالمين، وإنما لتضحيات المظلومين، القرن الأول هو القرن الأكثر مذابح بحق الناطقين بالحق في كل بلدان المسلمين، (بمكة والمدينة والكوفة والبصرة ومصر واليمن)، القرن الأول أفضل القرون، لنور الرسالة ونزول القرآن ، وتحرير الإنسان، ووجود رسول الأنام، ومن ناصره وأخلص لرسالته من المهاجرين والأنصار، ومن سار بصدق على نهجه من صالحي التابعين، لكنهم في وسط أكبر وأمكر من المنافقين والأعراب والغوغاء والدهماء، نعم القرن الأول خير القرون .. لعدد الألسن المقطوعة لصدعها بالكلم، والأطراف المبتوتة لمشيها في الظُلَم، والأطفال المذبوحة، والأعناق المختومة، والجثث المشوهة، والأجساد المصلوبة، والملعونين-ظلماً- أمواتاً، والمدفونين - جوراً- أحياءً، ... و المقتولين صبراً، والمسجونين قهراً... هذه التضحيات هي التي أعطت الخيرية للقرن الأول.. لماذا؟

لأن كل هذا دليل ظاهر على أن هؤلاء المظلومين لم يبيعوا دينهم، وقالوا كلمة الحق عند السلطان الجائر، وقاوموا الظلم ما استطاعوا.. فبقيت سيرهم وتضحياتهم مانعة من التحريف الكلي لدين الإسلام..وبقيت خدشاً كبيراً في وجوه الظالمين..لذلك كان القرن الأول خير القرون..وليست خيرية القرن الأول في النزاع بين المسلمين، ولا ردة المرتدين، ولا ظلم الظالمين، فلا خير في نزاع السقيفة، ولا ردة بني حنيفة، ولا منع الزكاة، ولا بغي البغاة، ولا قتل حجر، ولا فحش بسر، ولا استباحة الحرمين، ولا ذبح الحسين، ولا تبديل معاوية، ولا فئته الباغية، ولا مروق المارقة، ولا عنف الأزارقة، ولا إمارة الحجاج ، ولا سادة الحجاج، ولا أثرة المال، ولا ذبح الأطفال، ولا إبطال الشورى، ولا تقليد كسرى، ولا غفلة الصالحين ولا دهاء المنافقين، ولا وحشية الأعراب، ولا عصبية الأنساب، ولاهجر القرآن العظيم، ولا وضع الأحاديث على النبي الكريم..فهذه كلها وإن حصلت في القرن الأول، إلا أن خيرية القرن ليس بها قطعاً.. وإن كان لا مقارنة بين نزاع السقيفة وردة بني حنبفة، لكن النزاع شوش على طريقة الحكم، وأصبح النزاع حجة ركب بها المسلمون الصعب والذلول، ثم الذلول لحقه دخن وتبعته ذيول..

وسترون في الملاحق التفصيلية ما جرى للصحابة أنفسهم من إذلال على أيدي سفهاء مثل الحجاج ومروان وزياد وابن زياد.. ففي العهد الأموي فقط؛ تجد قوائم خيرية القرن الأول، ماثلة في قائمة بالصحابة المقتولين صبراً، وقائمة بالصحابة الذين ختم الحجاج على أعناقهم إذلالاً لهم، وقائمة بالمقطوعة ألسنتهم وأطرافهم من صالحي التابعين الذين صدعوا بكلمة الحق، ... وقائمة المدفونين أحياءً.. وقائمة الميتة قلوبهم ولاة وملوكاً، ومن قضى تحت العذاب، وقائمة الملقَين من أعلى القصور و المباني، وقائمة المنفيين ظلماً والمسيرين من الأرض، وقائمة الأطفال المذبوحين، وقائمة النساء الصالحات المصلوبات عاريات، .. ومعظم هذا في عهد بني أمية خاصة، فضلاً عن المذابح البربرية العامة تحت كل سماء، وعلى كل بطحاء[7]..فائدة معرفتنا بهذه المذابح وهذا التنكي؛ ليس هجاء الأموات، ولا تتبع الزلات، ولكن لنعرف أن هذه الأحداث قد أعادت رسم وتشكيل

وتلوين للخارطة الثقافية للمسلمين، بما يعلي من شأن السلطة وجبروتها ووحشيتها وانتهاكها للحقوق، ويخفض من شأن الإسلام وسماحته وعالميته وراعيته للعدالة والحقوق، ولهذا من الطبيعي أن يَنتج عن هذا (التنور الحطمي الجهنمي) إنضاجُ مزيجٍ فاسدٍ للأفكار المتضادة لإجبارها على تكوين طبخة سلطوية واحدة، لا نستطيع أن نفرق فيها بين شحم الضأن ولحم الخنزير، فقوة نار التنور واشتدادها، وكثافة دخانها وامتدادها؛ لا يبقي مطمعاً إلا في الرماد، فقد اجتمعت الأضداد، وصار معاوية فوق المقداد!..

الأمر الذي نحتاج فيه لجهد استثنائي لفك الارتباط والتداخل والاشتباه، بين تعاليم الأنبياء وقلوب السلاطين، .. إذن فهذا هو الزمن الجميل والعهد الذهبي، الذي يتباكى عليه غلاة اليوم: المتحدرون من رماد هذا التنور، ومن بقايا ذلك الحريق[8]...

استئصال الصحابة في القرن الأول – وهم أقول الناس بالشهادة-

وأغلب غلاة عصرنا وسلفهم، بين أمرين، إما أن نيتهم حسنة ويجهلون التاريخ، وإما أنهم أصحاب مكر عظيم، إذ كيف يقولون أن القرن الأول كان خيراً خالصاً، وأن أهل ذلك القرن كانوا يحبون الصحابة والتابعين بإحسان؟! وهذا وهم كبير ترده متواترات التاريخ والوقائع، صحيح أن القرن الأول كان أفضل لكثرة شهداء الله على الأرض، ولكن هؤلاء الصحابة استؤصلوا في القرن الأول، من قبل السلطات الأموية التي يدافع عنها هؤلاء الطيبون أو الماكرون، فالأمويون استأصلوا أهل بدر بصفين قبل أن يحكموا، واستأصلوا أهل الرضوان بالحرة بعد أن حكموا، وختموا على أعناق بقية الصحابة بعد أن تحكموا، وهذه الأمور صحيحة في أصح مصادر أهل السنة وتواريخهم، وليست من رواية الخوارج ولا الشيعة ولا المعتزلة ولا الجهمية .. ولم يرو أهل السنة هذه الفضائع عن متهم أو مشبوه، وإنما هذا ما أكده شاهد عصره، التابعي الكبير سعيد بن المسيب رضي الله عنه، كما ورد في أصح مصادر أهل السنة :- صحيح البخاري [جزء 4 - صفحة 1475] قال - سعيد بن المسيب-: : وقعت الفتنة

الأولى - يعني مقتل عثمان - فلم تبقِ من أصحاب بدر أحداً، ثم وقعت الفتنة الثانية - يعني الحرة - فلم تبقِ من أصحاب الحديبية أحداً ثم وقعت الثالثة فلم ترتفع وللناس طباخ (يعني قوة أو عقل أو خير)..اهـ والأثر في موطأ الشيباني (3/502): عن مالك عن يحي بن سعيد عن سعيد بن المسيب نحوه ولكن لفظ (فإن وقعت الثالثة..) ولفظ البخاري أقوى، وهو عند عبد الرزاق في مصنفه (11/358) عن معمر عن يحي بن سعيد عن ابن المسيب، ورواه أحمد بن حنبل عن يحي بن سعيد عن ابن المسيب (كما في العلل لابنه عبد الله 3/92)...

تفسير الفتن والصحابة فيها:

يقصد سعيد بن المسيب بالثالثة فتنة بني مروان..

فالفتنة الأولى التي استأصلت (أهل بدر)هي فتنة معاوية، وخروجه على الخليفة الشرعي علي بن أبي طالب، وقد شهد مع علي صفين سبعون من أهل بدر، وثمانمائة رضواني، وبقية المهاجرين والأنصار[9]، وليس مع معاوية بدري ولا رضواني، وإنما طلقاء وأعراب وقبائل غسان وكلب، وغالبيتهم كانوا من النصارى، فقتل في صفين نحو نصف هؤلاء البدريين والرضوانيين، رأسهم عمار بن ياسر الذي نشر معاوية جائزة لمن يأتي برأسه، وقد تخاصم القتلة بين يديه كما في مسند الإمام أحمد وغيره..ومات بقية أهل بدر في عهد معاوية إما مهانين كبدريي الأنصار(قصة ابي قتادة مع معاوية: فاصبروا حتى تلقوه!)، أو مسمومين كبدريي المهاجرين (قصة موت سعد بن أبي وقاص مسموماً! بعد رفضه البيعة ليزيد ولياً للعهد!)، أو تم اغتيالهم كفاحاً (اغتيال محمد بن مسلمة في أول عهد معاوية وبإيعاز منه ، وكانت عند ابن مسلمة أسرار عمر وسياسته، ومنها همه بعزل معاوية، ثم وصيته لمن بعده بعزله، وأن الخلافة لا تجوز للطلقاء ولا لأبنائهم!)!..

وأما الفتنة الثانية فكانت لابنه يزيد بن معاوية، وكانت في حق أهل المدينة (فبقي جيشه ثلاثة أيام يفجرون ويقتلون وينهبون وينتفون اللحى – حسب تعبير الذهبي وغيره-)[10]..

والثالثة فتنة مروانوخبيثهم الحجاج الذي أهان الصحابة بالحجاز وختم أعناقهم قبل أن يوليه عبد الملك العراق، وأتى هناك على البقية الباقية من صالحي أهل العراق، فهذه الفتنة هي التي قال عنها سعيد بن المسيب (أنها لم ترتفع وللناس طباخ (أي قوة) على قول الحق ومقاومة الباطل، أو (عقل) في تمييز الخير من الشر..وهذا ما حصل، فإن الحجاج استأصل بقية أهل الفضل وقول الحق من خيار من تبقى من الناس حتى لا يكاد أحد يستطيع أن يأمر بالصلاة .. والحجاج لا يكفيه متن ولا هامش.. لكن أختصر الوضع العلمي والديني والسياسي في عهده بمثال (رواية واحدة تعبر عن كل شيء)، وتعليق منصف لأحد الحنابلة... وفي الملحق مزيد من التوسع..

مثال : عهد الحجاج واندراس الشهداء والعلماء:

قصة الصحابي يزيد بن نعامة الضبي ..وكان قد أمر نائب الحجاج على البصرة بصلاة الجمعة قبل أن تغيب الشمس! فتسبب له ذا القول بنفي بسجنه أكثر من عشر سنوات ونسيان علمه وصحبته بل واسمه وشطبه من لائحة صالحي الأمة، حتى أنه لا يكاد أحد يعرفه اليوم! من المدافعين عن الصحابة والغيورين على السلف الصالح!

وبعض قصته رواها أبو يعلى وغيره بسند صحيح- مسند أبي يعلى [جزء 2 - صفحة 536] - قال:حدثنا قطن بن نسير حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا المعلى بن زياد قال : لما هزم يزيد بن المهلب أهل البصرة، قال المعلى : فخشيت أن أجلس في حلقة الحسن بن أبي الحسن(البصري) فأوجد فيها فأعرف! فأتيت الحسن في منزله فدخلت عليه، فقلت : يا أبا سعيد كيف بهذه الآية من كتاب الله ؟

قال : أية آية من كتاب الله ؟

قلت : نعم قول الله في هذه الآية : { وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون }[11][المائدة : 62]

قال :يا عبد الله إن القوم عرضوا السيف! فحال السيف دون الكلام[12]!

قلت : يا أبا سعيد فهل تعرف لمتكلم فضلا ؟

قال : لا ![13]

قال المعلى : ثم حدث (الحسن) بحديثين قال - في الحديث الأول- : حدثنا أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول الحق إذا رآه أن يذكر تعظيم الله فإنه لا يقرب من أجل ولا يبعد من رزق)[14]..

قال : ثم حدث الحسن بحديث آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ليس للمؤمن أن يذل نفسه

قيل : وما إذلاله نفسه ؟

قال : يتعرض من البلاء لما لا يطيق)

قيل : يا أبا سعيد فيزيد الضبي وكلامه في الصلاة؟ - يقصد أمره نائب الحجاج بصلاة الجمعة قبل أن تغرب الشمس-

قال – الحسن- :أما إنه لم يخرج من السجن حتى ندم! – وهذه إشاعة من السلطة صدقها الحسن كما سيأتي-

قال المعلى :فقمت من مجلس الحسن فأتيت يزيد (يعني الضبي)

فقلت : يا أبا مودود بينما أنا و الحسن نتذاكر إذ نصبت أمرك نصبا

فقال : مه يا أبا الحسن؟

قال : قلت : قد فعلت ..

قال : فما قال الحسن ؟

قلت : قال :أما إنه لم يخرج من السجن حتى ندم على مقالته!!

قال يزيد : ما ندمت على مقالتي وايم اللهلقد قمت مقاما أخطر فيه بنفسي.

قال يزيد : فأتيت الحسن

فقلت : يا أبا سعيد : غُلبنا على كل شيء، نُغلب على صلاتنا ؟

فقال : يا عبد الله إنك لم تصنع شيئا إنك تعرض نفسك لهم ثم أتيته فقال لي مثل مقالته

قال – في ذكر قصته- : فقمت يوم الجمعة في المسجد و الحكم بن أيوب يخطب

فقلت : رحمك الله الصلاة!

قال : فلما قلت ذلك احتوشتني الرجال يتعاورونني فأخذوا بلحيتي وتلبيبتي وجعلوا يجئون بطني بنعال سيوفهم ، قال : ومضوا بي نحو المقصورة فما وصلت إليه حتى ظننت أنهم سيقتلونني دونه قال : ففتح لي باب المقصورة ، قال : فدخلت فقمت بين يدي الحكم وهو ساكت.

فقال – أي الحكم نائب الحجاج- : أمجنون أنت ؟ قال : وما كنا في صلاة[15]؟؟

فقلت – القائل يزيد- : أصلح الله الآمير هل من كلام أفضل من كتاب الله ؟

قال – الحكم- : لا

قلت : أصلح الله الأمير أرأيت لو أن رجلا نشر مصحفا يقرؤه غدوة إلى الليل أكان ذلك قاضيا عنه صلاته ؟

قال الحكم :والله إني لأحسبك مجنونا

قال - يزيد الضبي- : و أنس بن مالك جالس تحت منبره ساكت!

فقلت: يا أنس يا أبا حمزة أنشدك الله فقد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته أبمعروف قلت أم بمنكر ؟ أبحق قلت أم بباطل ؟

قال - يزيد - : فلا والله ما أجابني بكلمة!!![16]

قال له الحكم بن أيوب :

يا أنس قال : يقول : لبيك أصلحك الله

قال – الحكم- : وكان وقت الصلاة قد ذهب ؟؟؟

قال أنس : كان بقي من الشمس بقية!!

فقال : احبسوه – يقصد يزيد الضبي-

قال يزيد :فأقسم لك يا أبا الحسن - يعني للمعلى - لما لقيت من أصحابي كان أشد علي من مقامي، قال بعضهم : مراء، وقال بعضهم : مجنون

قال : وكتب الحكم (نائب الحجاج بالبصرة) إلى الحجاج (بواسط) : أن رجلا من بني ضبة قام يوم الجمعة قال : الصلاة! وأنا أخطب! وقد شهد الشهود العدول عندي أنه مجنون !

فكتب إليه الحجاج : إن كانت قامت الشهود العدول أنه مجنون فخل سبيله وإلا فاقطع يديه ورجليه واسمر عينيه واصلبه[17]..

قال : فشهدوا عند الحكم أني مجنون فخلى عني

قال المعلى عن يزيد الضبي :

ثم مات أخ لنا فتبعنا جنازته فصلينا عليه فلما دفن تنحيت في عصابة فذكرنا الله وذكرنا معادنا فإنا كذلك إذ رأينا نواصي الخيل والحراب فلما رآه أصحابي قاموا وتركوني وحدي فجاء الحكم حتى وقف علي فقال : ما كنتم تصنعون ؟

قلت : أصلح الله الأمير مات صاحب لنا فصلينا عليه ودفن فقعدنا نذكر ربنا ونذكر معادنا ونذكر ما صار إليه

قال : ما منعك أن تفر كما فروا ؟

قلت : أصلح الله الأمير أنا أبرأ من ذلك ساحة وآمن للأمير من أن أفر

قال : فسكت الحكم فقال عبد الملك بن المهلب - وكان على شرطته - تدري من هذا ؟ قال – الحكم - : من هذا ؟ قال – ابن المهلب- : هذا المتكلم يوم الجمعة

قال : فغضب الحكم وقال : أم إنك لجريء.. خذاه!

قال : فأخذت فضربني أربع مئة سوط فما دريت حين تركني من شدة ما ضربني

قال : وبعثني إلى واسط فكنت في ديماس (سجن)الحجاج حتى مات الحجاج..

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - (ج 3 / ص 310)

رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

تعليق ابن رجب الحنبلي:

وقد ذكر ابن رجب الحنبلي فوائد في كتابه : فتح الباري (6/ 192) تعليقاً على خبر يزيد الضبي هذا وحشد فيه كثيراً من الآثار الصحيحة حول تدخل بني أمية في القرن في تفاصيل الصلاة ومنعهم الناس من الصلاة لوقتها وغير ذلك.. وسأذكر قول ابن رجب وتعليقاته ورواياته مرقمة لتسهيل الفائدة ..فقال:

(فقد تبين بهذا السياق :

1- أن الصحابة والتابعين – يعني يومئذ- كانوا كلهم خائفين من ولاة السوء الظالمين،

2- وإنهم غير قادرين على الإنكار عليهم،

3- وأنه – أي الإنكار- غير نافع بالكلية[18]؛

4- فإنهم يقتلون من أنكر!!

5- ولا يرجعون عن تأخير الصلاة على عوائدهم الفاسدة[19]

6- وقد تكلم بعض علماء أهل الشام في زمن الوليد بن عبد الملك في ذلك ، وقال : أبعث نبيٌ بعد محمدٍ يعلمكم هذا - أو نحو ذلك ؟ فأخذ فأدخل الخضراء فكان آخر العهد به[20]!!

7- ولهذا لم يستطع أنس أن يجيب يزيد الضبي بشئ حين تكلم يزيد!

8- وإنما قال للحكم لما سأله: قد بقي من الشمس بقيةٌ [21]-!!

9- يريد : قد بقي من ميقات العصر بقيةٌ -، وهو كما قال-

10-لكن وقت الجمعة كان قد فات ، ولم يستطع أن يتكلم بذلك!

11- فلما دخل الحكم داره ، وأدخل معه أنساً ويزيد الضبي ، فسئل أنس في ذلك الوقت عن وقت صلاة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فأخبر أنه كان يعجل في البرد ، ويبرد في الحر ، ومراده -والله أعلم - : صلاة الظهر ، وهذا هو الذي أمكن أنسا أن يقوله في ذلك الوقت ، ولم يمكنه الزيادة على ذلك !!

12-وأكثر العلماء على أن الجمعة لا يبرد بها بعد الزوال ، بل تعجل في أول الوقت ، وللشافعية في ذلك وجهان .

13-وقد كان الصحابة والتابعون مع أولئك الظلمة في جهدٍ جهيدٍ ، لا سيما في تأخير الصلاة عن ميقاتها ، وكانوا يصلون الجمعة في أخر وقت العصر ، فكان أكثر من يجيء إلى الجمعة يصلي الظهر والعصر في بيته ، ثم يجيء إلى المسجد تقية لهم ،

14- ومنهم من كان إذا ضاق وقت الصلاة وهو في المسجد أومأ بالصلاة خشية القتل

15-وكانوا – أي الأمراء- يُحلِّفون من دخل المسجد أنه ما صلى في بيته قبل أن يجيء[22]!!!

16- قال إبراهيم بن مهاجرٍ : كنت أنا وسعيد بن جبيرٍ وإبراهيم نصلي الظهر ، ثم نجلس فنتحدث والحجاج يخطب يوم الجمعة[23]، خرّجه أبو نعيمٍ الفضل بن دكين في ((كتاب الصلاة)) .

17-وخَّرج -أيضاً- بإسناده ، عن أبي بكر بن عتبة ، قال صليت إلى جنب أبي جحيفة ، فتمسى الحجاج بالصلاة ، فقام يصلي الجمعة ، ثم قام فصلى ركعتين ، ثم قال : يا أبا بكر ، أشهدك أنها الجمعة، وهذا غريبٌ ، يدل على أنه يصح أن يصلي الرجل الجمعة وحده..

18-وبإسناده : عن الأعمش ، عن إبراهيم وخيثمة ، أنهما كانا يصليان الظهر

والعصر ، ثم يأتيان الحجاج يوم الجمعة ، فيصليان معه.

19-وعن أبي وائل ، أنه كان يأمرهم أن يصلوا في بيوتهم ، ثم يأتوا الحجاج فيصلون معه الجمعة.

20-وعن محمد بن أبي إسماعيل ، قال : كنت في مسجد منى ، وصحف تقرأ للوليد – بن عبد الملك- ، فأخروا الصلاة : قال : فنظرت إلى سعيدٍ بن جبير وعطاء يومئان ، وهما قاعدان**!!**

21-وقد ذكر أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري في ((كتاب أدب السلطان)) باباً في تأخير الأمراء الصلاة ، خَّرج فيه الأحاديث المرفوعة ، والآثار الموقوفة في ذلك ، وقد سبق ذكر بعضها في ((أبواب: المواقيت)) .

22-وروى فيه بإسناده : أن أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعودٍ كان يروح إلى المسجد وقد صلى الظهر والعصر ، فيجلس فينتظر ، فيقول – للخطيب- : ماله قاتله الله **؟!**

يصيح على منبره صياحاً ، وقد فاتته العصر ، ولم يصل الظهر بعد**!**

23-وبإسناده : عن عمرو بن هرم ، قال : كان أنس بن مالكٍ يصلي الظهر والعصر في بيته ، ثم يأتي الحجاج فيصلي معه الجمعة**!!!**

24-وبإسناده : عن عبد الله بن أبي زكريا ، أنه كان يجمع مع الوليد بن عبد الملك ما صلى الوليد في وقت الظهر الجمعة ، ويعتد بها جمعةً ، فإن أخرها عن وقت الظهر صلى الظهر في آخر وقت الظهر أربعاً إيماءً ، ثم صلى الجمعة معه ، وجعلها تطوعا ، فإن أخر العصر حتى يخرج وقتها صلاها في آخر وقتها ايماءً .

25-وبإسناده : عن حصينٍ ، قال : كان أبو وائل إذا أخر الحجاج الجمعة استقبل القبلة ، يومئ ايماءً : يتناعس!!

26-وبإسناده : عن جريرٍ ، قال : شهدت الجمعة مع ابن هبيرة ، فأخر الصلاة إلى قريب من العصر ، فرأيت الناس يخرجون ، فرأيت أبا حنيفة خرج ، فكأن شيخ يصيح في المسجد : لو كان الحجاج ما خرجوا ، وجعل فضيل بن غزوان ويقول : إنهم ، إنهم..- يتأسفون على سنة الحجاج[24]!-

27-وبإسناده : عن ابن سيرين ، أنه حضر الجمعة ، فأخر الأمير الصلاة ، فأدمى ظفره ، ثم قام فخرج ، وأخذته السياط حتى خَّرج من المسجد!

28-وعن عطاءٍ بن السائب : قال : رأيت سعيدٍ بن جبير وأبا البختري وأصحابه يومئون يوم الجمعة ، والحجاج يخطب ، وهم جلوسٌ !

29-وعن محمد بن إسماعيل ، قال : رأيت سعيد بن جبير وعطاء ، وأخر الوليد الجمعة والعصر ، فصلاهما جميعاً ، قال : فأومئا إيماءً ، ثم صليا معه بمنىً .

30-وبإسناده : عن حميدٍ ، أن الوليد بن عبد الملك خَّرج بمنىً بعد العصر ، فخطب حتى صارت الشمس على رؤوس الجبال ، فنزل فصلى الظهر ، ثم صلى العصر ، ثم صلى المغرب .

31-وروى بإسنادٍ له : عن سالم ، أنه ذكر أن الوليد قدم عليهم المدينة ، فما زال يخطب ويقرأ الليث حتى مضى وقت الجمعة ، ثم مضى وقت العصر ، فقال القاسم بن محمد لسالم:أما قمت فصليت ؟ قال : لا .قال : أفما أومأت ؟ قال: لا . وقال : خشيت أن يقال :رجل من آل عمر[25]!! ..

32-وروى بإسناده : عن عمارة بن زاذان : حدثني مكحولٌ ، قال : خطب الحجاج بمكة ، وأنا إلى جنب ابن عمر ، يحبس الناس بالصلاة ، فرفع ابن عمر راسه ، ونهض ، وقال : يا معشر المسلمين ، انهضوا إلى صلاتكم ، ونهض الناس ، ونزل الحجاج ، فلما صلى قال :ويحكم ، من هذا ؟ قالوا : ابن عمر[26]..

قال: أما والله لولا أن به لمماً لعاقبته .

33-وروى أبو نعيم في ((كتاب الصلاة)) :ثنا زهير ، عن جابر -وهو : الجعفي -، عن نافع ، قال : كان ابن عمر يصلي خلف الحجاج ، فلما اخرها ترك الصلاة معه .

34-وكان الحسن يأمر بالكف عن الإنكار عليهم[27]، ثم غلبه الأمر فأنكر على الحجاج ، وكان سبب اختفائه منه حتى مات الحجاج ، والحسن متوار عنه بالبصرة .

35-وقد روى أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب ((مناقب الحسن)) بإسناد له ، أن الحسن شهد الجمعة مع الحجاج ، فرقى الحجاج المنبر ، فأطال الخطبة حتى دخل في وقت العصر ، فقال الحسن : أما من رجل يقول : الصلاة جامعةٌ ؟ فقالَ رجل : يا أبا سعيدٍ ، تأمرنا أن نتكلم والإمام يخطب ؟ فقال : إنما أمرنا أن ننصت لهم فيما أخذوا من أمر ديننا ، فإذا أخذوا في أمر دنياهم أخذنا في أمر ديننا ، قوموا ، فقام الحسن وقام الناس لقيام الحسن ، فقطع الحجاج خطبته ، ونزل فصلى بهم ، فطلب الحجاج الحسن فلم يقدر عليه[28].

36-وهذا كله مما يدل على اجتماع السلف الصالح على أن تأخير الجمعة إلى دخول وقت العصر حرام لا مساغ له في الإسلام .

37-ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة صلى الجمعة في أول وقتها على ما كانت عليه السنة .

38-فروى إسماعيل بن عياش ، عن عمرو بن مهاجرٍ ، أن عمر بن عبد العزيز كان يصلي الجمعة في أول وقتها حين يفيء الفَيء ذراعا ونحوه ، وذلك في الساعة السابعة .

38-وقال ابن عونٍ : كانوا يصلون الجمعة في خلافة عمر بن عبد العزيز والظل هنية

إذن فهؤلاء الأبطال من الضحايا من الصحابة والتابعين كانوا (شهداء) على عصرهم، يقولون لنا : لا ..كلما ظننا أن تاريخنا كان بخير..!ولم يقعوا فتنة في تصديق الفاجر، أوتكذيب المؤتمن.. فلابد أن نحيي ذكرهم ونعرف منهم أن الوضع لم يكن سليماً لا على المستوى السياسي ولا الثقافي .. وبهذا نستطيع أن نبني على تضحياتهم ما كانوا يأملون من إصلاح، وليس المساهمة في قتلهم قتلاً أبلغ وأقبح من قتل السلطة لهم..

إذن لابد أن يندرس العلم ويظهر الجهل وتتعرض هذه المباديء – مباديء الإسلام الكبرى- في ظل قتل وإذلال هؤلاء العلماء من الصحابة والتابعين[29]، وهذا يمهد لتشويه كبير وتشويش مقصود من السلطة الحاكمة وذيولها الدينية والاجتماعية، وذلك أثناء بحث السلطة الحثيث عن تدعيم الشرعية .. ولو بتأويل أو تعطيل آيات الكتاب (تلك الآيات الإنسانية والمباديء العامة)، أو وضع الأحاديث ونسبتها لنبي الإسلام..أو إعطاء بعض الأجيال والفقهاء شرعية النص .. ليكون البديل الضروري المستعد للتسويغ والتبرير عند فشل تأويل الكتاب أو تعثر نسبة حديث .. ولن تعدم السلطة في أقل الأحوال من يقول (هذا زمان شر والتسديد بالممكن ونصيحة السلطان خير من مفارقته، والاعتزال عنه..) ثم لا يستطيع هذا الفقيه الطيب أن يقول الحق القليل إلا مشوباً بتسويغ باطل كبير.. ثم يصبح هذا الباطل جزءاً من الحق.. ثم يغلب فيصبح الباطل هو الحق الصراح..ومن عارضه فقد عارض الدين! ..وهكذا تتحدر الأباطيل الصغيرة من رؤوس الحقائق الكبيرة.. وحتى لا تتكسر هذه الأباطيل أثناء التحدر وتصيب شظاياها الأبرياء، يضطر الحق (العجوز)أن ينحني ويدني

رأسه لينزل هذا الطفل (الشرير) على الأرض! ثم لينمو ويشب ويحل مكان الشيخ الجليل!

المعاني الكبيرة تتعرض للتقزيم والتصميم..

والبعض قد يكابر ويزعم أننا ما زلنا خير الأمم، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ونؤمن بالله! مع علمه بما اخترناه من صغائر المعروف والمنكر، وبعد علمه أن الإيمان بالله أصبح عندنا مجرد الاعتقاد بوجودالله مع الانشغال بالتنازع في صفاته، أما المنكر الأكبر (الكذب والظلم وانتهاك حقوق الإنسان ومحاربة العقل ، وترك التدبر، وقول الزور وشهادة الزور)، فلم يصبح النهي عن هذا منسياً فحسب؛ وإنما أصبح أمراً واقعاً ومبرراً بل ومأموراً في الفتاوى والأحكام[30]، وكذلك المعروف الأكبر (قول الحق، والعدل، واحترام الحقوق..) أصبح أمراً مستهجناً بل ومنهياً عنه في السر والإعلان..والمؤلم لكل باحث، أنه لا يجد هذا المباديء العظيمة إلا في القرآن غير المفسر، ثم اختفت في فصول وأبواب كتب الفقه والحديث.. ثم بوّب أهل العقائد على الضد من ذلك..فانتشرت أبواب تشريع القتل والتكفير والكراهية والبراءة واللعن والبغضاء والتنازع... في كتب وفصول وأبواب كتب العقائد المذهبية واستطاعت هذه الكتب أن تصيغ العقلية الإسلامية صياغة مخيفة بعيدة كل البعد عن خطوط القرآن العامة ومبادئه الصريحة ..وليس أكثر ظهوراً من أمر القرآن الكريم بأقامة الشهادة لله، وقول الحق ولو على الوالدين أو الأقربين.. هذه المعاني العظيمة ذهبت أدراج الرياح بفضل السلطتين السياسة والدينية، والتعصب الأحمق للمصالح الآنية الضيقة والخصومات الصغيرة .. والضحية هو الإسلام فقط!... وهذا عبر القرون الأربعة عشر باستثناء فترات ولمحات وإبداعات قليلة هنا وهناك.. في هذا الزمن أو ذاك..

ماذا عملت الهمم الصغرى في المباديء الكبرى؟!

لصغر الهمم والعقول والنيات أخذنا الأوامر الصغرى والنواهي الصغرى فقط، وتمت الدندنة حولها وإشغال الأمة في الاختلاف فيها، مع إهمال

الأمور الكبرى وشمولها وانطلاقها ودورها الإيجابي في بناء هذا الإنسان أولاً بناء يجبره على التغيير والإصلاح والإيجابية والإنتاج ..ظننا أن خلاص المسلمين هو في فعل سلفهم.. وليس في الاستجابة لأوامر ربهم،.. والثناء المطلق على السلف من قول الزور وشهادة الزور .. فإنه الثناء إذا زاد عن حده، أو تم تدوين الحسنات وإهمال السيئات كان هذا تزويراً ..وبالتالي كان شهادة زور.. لأنه ما من عاقل يريد النصيحة لله ورسوله والمؤمنين يقوم بهذه العمليات من التزوير للحقائق... سواء بإنكار فضيلة أو طمس رذيلة.. كل هذا قول بالزور وشهادة زور..

الشهادة لله فريضة قرآنية مجهولة!

وهنا كان يجب أن نتذكر فريضة قرآنية أهدتها السلطلة وذيولها، إنها وظيفة (الشهادة لله).. .. هذه من أكبر الوظائف التي تم إهمالها بتوجيهها وحصرها في أضيق معنى وأبعده عن التأثير .. إذ تم حصر الشهادة في إثبات معاصي الأفراد والجماعات، واختلاف الأسر والعائلات، وكتابة المحاضر والسجلات..

بل حتى حصرها في المقتول في سبيل الله أقل ما يقال عن هذا الحصر أنه غير دقيق، وأنه ذهب للمعنى الأصغر، وترك المعنى الأكبر، ولا أستبعد أن يكون للسلطة دور في هذا الحصر.. ليجعلوا من يقتل في سبيل معاوية وعبدالملك شهيداً في سبيل الله لا في سبيلهم.. بل أكبر من هذا أن القرآن الكريم لم يورد الشهادة قط في المقتول في سبيل الله، حتى في حق من يقتل مع النبي (ص)، فلم يعبر القرآن عن المقتول في سبيل الله بـ(الشهيد)، وإنما فيه (المقتول في سبيل الله) أو (من قضى نحبه) وما أشبه ذلك..كل معاني الشهادة في القرآن الكريم تدور حول (الشهادة بالحق وقول الحق)، بل ليس من بشر أعظم عند الله من رسوله الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قال في حقه:

(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل) ولم يقل (أفإن مات أواستشهد) .. فهورسول الله، لن يفر من زحف، ولن تدركه ضلالة..

وكذلك قال عز وجل في المقتولين في سبيل الله (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً) ولم يقل (استشهدوا) .. مع أن الآية قد أثبتت لهم صدق النية وكمال التضحية..

وكذا قال تعالى : (فمنهم من قضى نحبه ..) ولم يقل (من استشهد) .. وهكذا ..

كل الآيات الكريمة في الشهادة والشهداء والشاهدين لها معنى واحد، يتلخص في اتخاذ وتبني (الموقف الحق)بعدل وإنصاف.. سواء الموقف الحق من سلطة ظالمة أو معارضة هوجاء أو من وضع علمي أو سياسي أواجتماعي .. بغض النظر كان في الموقف موت في سبيل الله أو موت على الفراش، فليست الشهادة – على الأقل – محصورة في الجانب العسكري، ولا في المبطون والمطعون والحريق والغريق ..هذه كلها شهادات صغرى، ..الشهادة الكبرى القرآنية، هي شهادة الموقف الحق والقول الحق لكن لعل الدولة العسكرية للمسلمين أرادت أن تزيح من طريقها هذا المفهوم العظيم للشهادة- تلك الشهادة التي يجب أن تكون لله- وتجييره لصالحها، فنسبت للشرع أحاديث وكثفت الروايات التي تجعل معنى (الشهادة) محصوراً في العمل العسكري لصالح السلطان..لحاجة الدولة العسكرية للتوسع وجلب المصالح المادية وترغيب الناس في خدمتها وربما أحياناً للترغيب في إعانتها على المحرم، فأكثر معارك السلطة الظالمة كانت مع الثوار المسلمين الذين يأبون ممارسات السلطة وتحريفها لدين الإسلام[31]..

شهادات الصحابة على إحداثهم بعده..

ومن الشهادات الجريئة شهادة الصحابي الكبير البراء بن عازب -كما في صحيح البخاري – بعد أن أثنى عليه بعض التابعين لفضل صحبته للنبي (ص) فقال : لا تدري ما أحدثنا بعده)..

ونص الشهادة في صحيح البخاري [جزء 4 - صفحة 1529] من طريق العلاء بن المسيب عن أبيه قال: لقيت البراء بن عازب رضي الله عنهما،

فقلت : طوبى لك صحبت النبي صلى الله عليه وسلم وبايعته تحت الشجرة/ فقال يا ابن أخي إنك لا تدري ما أحدثنا بعده)! ..

أقول: ومثل هذه الشهادات ليست للتواضع كما فسرها الغلاة وأفسدوها.. وإنما تدل على نقص ما حدث بعد النبي 0ص)، وأن الأمور الخيرة من عدل وشهادة بالحق وخير.. بدأت في التناقص..ولو أن المسلمين استفادوا من هذه الشهادات ووظفها توظيفاً صحيحاً بتدارك ما فسد وإصلاحه بدلاً من الثناء المطلق على القرن الأول لأمكن تلافي الكثير من التدهور الذي أتى على كل الإسلام بنهاية القرن الأول ولم يبق معهم من الإسلام إلا الصلاة جماعة في غير وقتها أو الأذان.. ولبقي عندنا نبي واحد فقط، وليس مئات الأنبياء المتحاربين المتضادين.. ولكن دخول الخصومات الصغيرة.. أفسد فائدة هذه الشهادات الكبيرة.. فضاع التاريخ وضاع معه فهم الدين..

شهادات الصحابة والتابعين على فساد القرن الأول!:

شهادات الصحابة والتابعين على فساد القرن الأول، وضياع الإسلام، هو شهادة على فساد السلطة وأثرها في الناس.. وليس شهادة على المظلومين – الذين هم نحو مليون شهيد- ونحن لن نأخذ شهاداتهم على فساد الحكم وضياع العدالة وشيوع الظلم وانتهاء الشورى... فهذا لا تكاد رواياته تحصر ..وفيها ما يحب الغلاة الجدل فيه.. ويحتاج لمقدات تربط أهل الغلو في مرابطهم.. وإنما سنختار شهادات في تغيير السلطة في القرن الأول لأركان الإسلام العبادية التي لا دخل لها في السياسة .. ولا عذر لهم في دعوى أن الزمن تغير .. ولا غير ذلك من الأعذار التي يعتذر بها عنهم غلاة السلفية والنواصب..

ثم سنختار من هذه الأركان .. ركن الصلاة.. فهو أيضاً من أبعد الأركان عن السلطة المباشرة.. فلا مال فيه (زكاة) ولا أمير (حج) و لا إثبات رؤية هلال ..

ومن الشهادات العظيمة على فساد السلطة وظلمها وتحريفها أو تضييعها للعبادات الدينية فضلاً عما له صلة مباشرة بالحكم من عدل وحرية رأي ومال عام .. الخ :

1- شهادة الصحابي أنس بن مالك على تضييع الصلاة في عهد بني أمية:

وأنس بن مالك خدم النبي (ص) صغيراً وصحبه شاباً وصحب من بعده من الخلفاء وكان من الخاصين بأبي بكر، استعمله على البحرين وعزله عمر ..و قد عمر كثيراً حتى مات قبل نهاية القرن الأول (93هـ) وقد تقرب من بني أمية إلى حد ما، فقد كان يضطر- خوفاً - أن يعمل للحجاج وأن يجامل أمير البصرة ،.. وكان الحجاج قد أذله وأهانه بالختم على عنقه أو يده .. وكاد أن يقتله لروايته أحاديث في فضل علي.. وأنس بن مالك شاهد غير متهم على تحريف بني أمية للدين في كل شيء، فقد شهد أنه لا يعهد شيئاً كان على عهد النبي (ص) إلا الشهادتين، حتى الصلاة قد ضيعوها وجمعوا فيها الجمعة مع المغرب! ونص الشهادة الوارد في : (صحيح البخاري [جزء 1 - صفحة 198] من طريق الزهري قال:دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي فقلت ما يبكيك ؟ فقال لا أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضعيت) فهذا نموذج من الشهادة لله.. أفصح عنها أنس بن مالك ..مع أنه تخلى عنها في فترات من حياته كما سيأتي في قصة الصحابي يزيد بن نعامة الضبي مع نائب الحجاج على البصرة.. وسكوت أنس يومئذٍ خوفاً من الأمير.. وكذلك قوله لأبي بكرة أن زياد مجتهد وعتاب أبي بكرة له .. وسكوته عن الشهادة للإمام علي بحديث الغدير ثم ندمه وتحديثه بفضائل علي بعد موته .. فالرجل تائب .. وشاهد صادق.. وانظر شرح الحافظ ابن حجر لهذا الحديث في فتح الباري..فقد ذكر من تأخيرهم للصلاة حتى يخرج وقتها أموراً عجيبة ..وإذا كانت الدولة الأموية قد تدخلت في أعظم أركان الإسلام وأفسدت فيها ما أفسدت فكيف بأمور الحكم العامة ..؟!

- شهادة مالك بن أبي عامر الأصبحي – جد الإمام مالك- (ت 74هـ)

روى الإمام مالك في الموطأ- [جزء 3 - صفحة 477] رواية الشيباني-

(أخبرني عمي أبو سهيل قال : سمعت أبي يقول : ما أعرف شيئا مما كان الناس عليه إلا النداء بالصلاة..)

قلت: فقط!! وابن أبي عامر هذا ثقة من رجال الجماعة أدرك عمر وسمع منه .. وابنه أبو سهيل (واسمه : نافع ثقة روى له الجماعة مات نحو 140هـ)..والمختصر المفيد أن ابن أبي عامر جد الإمام مالك شاهد على عصره، وهو ليس خارجياً ولا شيعياً –بل هو في محل ما مقرب من القوم- يشهد أن عهد بني أمية كان قد غير مظاهر الدين وجواهره إلا النداء للصلاة (الأذان) وبنو أمية من أحرص الناس على صلاة الجماعة حرصاً سياسياً حتى يوصلوا إليهم الدعاية السياسية ويراقبوا تحركات المعارضة .. فلم لم يحضر صلاة الجماعة فمعنى هذا أنه إما ثائر أو مختفٍ لأمر ما.. ولذلك اخترعوا أحاديث تسبيح دماء المتخلف عن صلاة الجماعة وأنه منافق! .. مع أنها سنة أو فرض كفاية عند الجمهور .. ولم يأخذ الجهور بتلك الأحاديث التي تخالف الأصول العامة للإسلام، إلى وجود الأدلة المعارضة الأقوى..

- شهادة الصحابي أبي الدرداء الأنصاري..(ت 32هـ) على التغير بالشام!

وأبو الدرداء الصحابي المشهور، شاهد على أن الشام هي أول الأمصار تغييراً للدين وأحكامه، فقد عاش في عهد ولاية معاوية على الشام، أيام عثمان بن عفان، وكان الثوار على عثمان يرون بأنفسهم تغيير الولاة لسنن الإسلام سواء في الحكم والعدل والمال العام حتى وصل هؤلاء الولاة لأركان الإسلام الكبرى، وكان عثمان رضي الله عنه متردداً بين تنفيذ إصلاحات إدارية بعزل هؤلاء الظلمة، وبين التمسك بهم، وطال تردده ست سنوات! مما أدى للسخط عليه ثم الثورة، وجريمة قتله رضي الله عنه وسامحه، أما الشهادة فقد روى البخاري - صحيح البخاري [جزء 1 - صفحة 232] - عن أم الدرداء قالت: (دخل علي أبو الدرداء وهو مغضب!

فقلت: ما أغضبك ؟

فقال: والله ما أعرف من أمة محمد صلى الله عليه وسلم شيئا إلا أنهم يصلون جميعاً)..

قلت: هذا أبو الدراء يقسم بالله.. فإن كان صادقاً.. فيكون معاوية ومعه أهل الشام قد استطاعوا أن يغيروا أحكام الإسلام في العدل والمال العام وغير ذلك حتى ما بقي من الإسلام إلا الصلاة جميعاً... وإن كان كاذباً فهذا يبطل نظرية عدالة الصحابة الكبار فضلاً عن الطلقاء .. وأنا على يقين أنه صادق لأنه ليس الشاهد الوحيد..

- شهادة الصحابي الكبير عمران بن حصين (52هـ) على التغير في البصرة :

وهذا صحابي آخر يشهد على تغير المور من أيام عثمان بن عفان، في الولايات البعيدة عن مركز الخلافة بسبب ولاة عثمان الذين كانوا محل سخط من المسلمين.. وكان عثمان قد غلب على أمره من هؤلاء الولاة وحاشيته من بطانة السوء كمروان بن الحكم وأمثاله.. فلما وصل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للبصرة وبعد انتهاء حرب الجمل، صلى بهم الإمام علي في المسجد الأعظم صلاة رسول الله (ص)فتذكر بها عمران بن حصين صلاة رسول الله .. وكان قد غيرها ولاة عثمان ..سواء بتأخيرها عن وقتها حتى يخرج الوقت.. أو بنقصها بعض البدهيات كالتكبير ونحوه..

يقول عمران في شهادته وفق ما رواه البخاري - صحيح البخاري [جزء 1 - صفحة 271] - من طريق مطرف بن عبد الله بن الشخير عن عمران بن حصين قال: (صلى مع علي رضي الله عنه في البصرة، فقال (عمران): لقد ذكّرنا هذا الرجل صلاة كنا نصليها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم... الحديث)

قلت: والغريب ليس محافظة علي بن أبي طالب على صفة صلاة رسول الله (ص) إنما الغريب أن السلطة استطاعت أن تنسيها مثل الصحابي

الكبير عمران بن حصين.. فكيف بدهماء الناس.. فأثر السلطة كبير جداً ولا يعرف أثره المغفلون من الصالحين..

شهادة أبي موسى الأشعري على التغير في الكوفة!:

وهذا أبو موسى الأشعري، المقرب من عثمان، وأحد ولاته، كان قد ألف تغيير ولاة عثمان قبله للصلاة.. حتى صلى خلف علي بن أبي طالب بعد قدومه الكوفة في خلافته فتذكر بصلاة علي صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما تذكر عمران بن حصين في البصرة.. روى الإمام أحمد - مسند أحمد بن حنبل [جزء 4 - صفحة 400]- بسند صحيح ، من طريق الأسود بن يزيد النخعي قال:

قال أبو موسى الأشعري : (لقد ذكرنا علي رضي الله تعالى عنه صلاة صليناها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما ان نكون نسيناها واما ان نكون تركناها عمدا يكبر كلما ركع وإذا سجد وإذا رفع...)

عودة لمعنى الشهادة:

وإن صح أن هذا الإيهام من إنتاج السلطة، فهو يدل على قدرتها الهائلة على تغيير المصطلحات والمعاني القرآنية، فالشهادة بهذا المعنى الناقص الذي أنتجته السلطة أصبح محل إجماع بين المسلمين! مع نسيان تام للشهادة الشاملة العامة التي تحيي الأمة ويستطيع أن ينالها أي فرد وهو على فراشه، ألا وهي الشهادة لله، بالحق، والعدل والإنصاف، وترك الزور وقول الزور (كل عمل تزويي يضلل الناس)، والغريب أن هذا المعنى أكثر حضوراً في الآيات الكريمة أكثر تأكيداً عليه، والقرآن ناطق بهذه الشهادة وفضلها وعظمتها بما لا لبس فيه لأحد..[32]...

وعلى هذا تصبح الشهادة بالمعنى القرآني (الشهادة بالحق والعدل والجهر بذلك واجتنب قول الزور وشهادة الزور) هي أكبر فريضة إسلامية مهدرة ومنسية بل ومحاربة... بل حتى على المستوى النظري لا يكاد يعترف بفرضيتها أحد، ولو أنقل لكم ما ذكرته كتب الفقه كلها عن الشهادة لرأيتم النقص الكبير، وقضم المعنى الشامل الذي أراده الله، وربما لو قام

المسلمون بفريضة الشهادة لله، ولو تذكرو أن من شروط البيعة على الإسلام (أن نقول الحق أينما كنا لا نخشى في الله لومة لائم) ربما لو فعلوا هذا، لما استطاعت السلطة أن تنتج لنا إسلاماً على مقياس معاوية وعبد الملك والمتوكل، ولما استطاع رجال الدين أن يحرفوا دين الإسلام عن مساره الطبيعي العام، وليس المسار الضيق المذهبي الذي أوصلونا إليه.. ربما لو قمنا بهذا لما وصلنا إلى هذا الانهيار المروع للمباديء القرآنية الأساسية من نفوسنا كالعدل والصدق وقول الحق إينما كنا لا نخشى حرقة سوط ولا قطع لسان... الخ.

المعنى القرآني للشهادة:

إن معنى الشهادة في القرآن الكريم معنى كبير جداً .. يتجاوز الحيز الصغير الذي حشره فيه الفقهاء.. انظروا الآيات الكريمة التالية وتأملوها وأنشد الله كل قاريء أن يتدبرها بهدوء ثم ليشهد لله وكفى بالله شهيداً:

* - قال جلّ ذكره : (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيداً)[33]...

* - وقال تعالى (وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء)[34]..

* - وقال تعالى: (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله)[35]!

* - وقال تعالى: (والذين هم بشهاداتهم قائمون)[36]..

* - وقال سبحانه: (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه)[37]..

* - وقال عز وجل: (ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم)[38]..

* - وقال جل ذكره: (ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها)[39]

* - وقال سبحانه: (ولا يأب الشهداء إذا ما دُعُوا) [40]

* - وقال تعالى: (لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء)؟..[41]

* - وقال : (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء)[42]..

* - وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين)[43]

*- وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا)[44]

*- وقال تعالى: (.. بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء، فلا تخشوا الناس واخشونِ، ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً..)[45]..

*- وقال تعالى: (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً، أولئك يعرضون على ربهم، ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين).[46].

* - وقال عز وجل: (ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس)[47]

* - وقال جل ذكره: (وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون)[48]

*- وقال عز من قائل : (قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم)[49]..

* - وقال سبحانه: (والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم)[50]

*- وقال تعالى: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً)[51]..

*- وقال :(ما قلت لهم إلا ما أمرتني به، أن اعبدوا الله ربي وربكم، وكنتُ عليهم شهيداً ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شيء شهيد)[52]

* - وقال العزيز الحكيم: (ونزعنا من كل أمةشهيداً فقلنا هاتوا برهانكم)[53]...

أقول: اللهم إنك تعلم ضعف قلوبنا، وكثرة ذنوبنا، اللهم تفضل علينا واكتبنا مع الشاهدين، واجعلنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.. يوم يقوم الأشهاد، يوم تقول أنت: (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم)..!

مسار القرآن ومسار كتب الحديث:

كل كتب الحديث – مع كامل الاحترام والدعاء لأصحابها – أحصوا في كتبهم وأبوابهم كل الموضوعات التي وردت فيها أحاديث .. من كتاب الإيمان والصلاة والوضوء والطهارة ..إلى كتب المساقاة والمزارعة والبيوع.. إلا أننا لا نجد في تلك الكتب والأبواب، كتاب العدل ، أو كتاب الشورى، أو باب: قول كلمة الحق ، أو باب : إقامة الشهادة لله وحرمة كتمانها... أو باب: حقوق الإنسان، أو باب: لا إكراه في الدين، أو باب: تحريم عبادة العلماء وذوي السلطان، ..الخ[54]..

بل ننسى أن من أهم شروط البيعة على الإسلام : (أن نقول الحق أينما كنا لا نخشى في الله لومة لائم)[55]!

السبل التي طرقتها السلطة في محاربة الشهادة بمعناها القرآني

إن من أكبر سبل محاربة هذه الفريضة القرآنية (فريضة الشهادة) دعوى السلطة وذيولها عبر التاريخ، دعوى محارب الإجماع،أواتباع غير سبيل المؤمنين،أو أن هذا المفهوم تعارضه أحاديث، أولم يقل بها العلماء، ...وغير ذلك من سب شتى هدفها إجهاض هذا المفهوم القرآني وهذه

الفريضة المزعجة لكل ظالم، هذه الفريضة القرآنية العظيمة التي قدم فيها كبار أهل البيت وخيارالصحابة والتابعين أروع الأمثلة..

القرن الأول أفضل قرن قدم التضحيات في سبيل إقامة الشهادة لله..

من حيث الإجمال – وفي الملحق التفصيل- نقول إن أكثر القرون التي قدمت هذه الضحايا والتضحيات هو القرن الأول، ثم الثاني ثم الثالث... وقائمة من ذهبت أرواحهم لقولهم الحق وموقفهم من الظلم .. في القرن الأول لم يبلغه قرن آخر على الإطلاق[56].... وعلى هذا فأفضلية القرون الثلاثة هي أفضلية حقيقية، لكن على المعنى الذي ذهب إليه الشهداء المظلومون .. وليس على المعنى الذي ذهب إليه الظالمون وذيولهم العلمية.. فإذا كان معاوية وابنه وزياد وابنه والحجاج وقرابته وسمرة بن جندب .. قد قتلوا من أصحاب هذه الشهادة ما يصل إلى نحو المليون مسلم ظلماً .. فإننا لا نستطيع إلا أن ننحني إجلالاً للقرن الأول.. فهو أكثر القرون عطاء في سبيل إقامة شهادة الحق..ولولا هؤلاء الضحايا – بعد فضل الله- لما وصلنا من الإسلام شيء.... والمشككون في هذه الأعداد إذا اطردوا لم نعاتبهم.. أعني إذا كانمنهجهم عاماً في التشكيك في عدد من حج مع النبي (ص) ومن شهد تبوك..وهكذا.. أما الطرف الآخر الذي يقر أنه حج مع النبي (ص) 120 ألفاً وكلهم ممن أسلم ما بين المدينة إلى مكة ولا يشككون في هذا الرقم.. ثم يأتون ليشككوا في عدد من قتلهم سمرة ومعاوية وزياد والحجاج وبسر ومسرف وأمثالهم في المدينة (الحرة) ومكة، و في البصرة والكوفة والجماجم، و في مصر واليمن وسهل الفرات، بعدتوالد المسلمون أضعافاً، وبعد أن دخل في الإسلام أمم من الشعوب، وبعد أن علمنا أن مثل الحجاج وزياد وابنه يأخذون المرأة والشيخ والطفل بل القبيلة بفعل بثورة أحد أفرادها أو هروبه ... فهذا تناقض في المنهج ..فإذا اعتبرنا أن كل المسلمين في الحجاز ، قد حجوا مع النبي (ص) وهم الـ (120ألفاً)..وهم فقط قريش والأنصار وأكثر مزينة وخزاعة..مع قليل من القبائل المجاورة.. وقدخلّف الرجل منهم خلفه عائلة كاملة ..فمتوسط عائلة الحاج الواحد في الحد الأدنى زوجة واحدة وأربعة أبناء – مع أن بعضهم له أكثر من زوجة مع أبناء بالعشرات- فهذا يعني أن سكان الحجاز فقط

عام 10هـ كانوا ستمائة ألف أو يزيدون..فكيف باليمن وحضرموت وعمان ونجدوالبحرين (الساحل الشرقي للجزيرة) ..وبقية الساحل الغربي (الأزد وعك والأشعرين) وجل غطفان وهوازن وبني سليم بن منصور وبني عامر...الخ ، مع القبائل الشمالية كلخم وجذام وقضاعة و بعض جهينة وأكثر طيء.. فهؤلاء الغائبون مع عوائلهم ليس أقل من أن يكونوا النصف.. فمجموع سكان الجزيرة عند وفاة النبي (ص) لن يقل عن المليون في أقل الاحتمالات..فكيف مع انفتاح الدنيا وإسلام الشعوب والتوالد مع وفرة السبي (مع إيماننا بعدم شرعيته = فإما مناً بعد وإما فداء) ..هذا أنس بن مالك كان فرداً ولم ينته القرن الأول إلا وعائلته نحو المئتين! فهذا المليون إذا صار للواحد منهم أربعة أولاد في عشر سنوات فهذا يعني أن يصبحوا في نهاية عهد عمر خمسة ملايين..فكيف بعهد عثمان وعلي وبقية القرن الأول... فإذا قتل بنو أمية مليوناً لن يكون مستغرباً.. بل إن من قتلهم سمرة بن جندب وزياد وابنه في البصرة وحدها في عهد معاوية فقط بلغ سبعين ألفاً في البصرة(العثمانية الهوى)فقط، وبلا محاكمة.. فكيف ببقية البلدان وخاصة الشيعية أوالخارجية منها؟ وروى هشام بن حسان – العثماني الهوى-أنهم أحصوا ما قتله الحجاج صبراً فبلغ120 ألفاً) غير من قتلهم في الجماجم وغيرها، واهل الشام لبثوا في المدينة ثلاثة أيام يقتلون وينهبون ويفجرون..ومذابح بسر في همدان والحجاز،وقتل زياد لأصحاب علي تحت كل حجر ومدر، وقتل ابنه لأصحاب الحسين ومذبحة كربلاء ، ومذبحة أهل بدر والرضوان بصفين مع علي، والقضاء على جيش التوابين وزعيمهم الصحابي سليمان بن صرد الخزاعي بعين الوردة....فهذه أعداد هائلة بلا شك.. مع أن الذهبي الشامي ذي الهوى الأموي الخفيف قد عد الحجاج ممن قتل ألف ألف وحده.. وكذلك هولاكو وأبو مسلم.. فإذا كان مجموع ما قتل هولاكو في القرن السابع هو مجموع ما قتله والٍ واحد من ولاة بني أمية في القرن الأول في عشرين سنة فقط.. فهذا يعني أن ظلمبني أمية حق خير القرون قد بلغ مبلغاً لا يعلمه إلا الشهداء بالحق.. فأكثر الناس يسترون هذه

العظائم..ويعني أن تراثنا وفقهنا وحديثنا وعقائدنا لن يسلم عندالمرور فوق هذه الجثث من التلوث بها..

فيُحارب (الشاهد لله) تارة بمخالفة الإجماع واتباع غير سبيل المؤمنين، مع أن الإجماع غير متحقق، ومع علمهم بأن من ادعى الإجماع فقدكذب، إلا في الأمور الظاهرة التي فيها نصوص صريحة قطعية يسلم بها الجميع، وتارة بمخالفة الشرع (الذي زوروا في حقه الدعوة لسلبية المجتمع)، وتارة بمخالفة سلطان الله في الأرض (وسلطان الله الحق ليس إلا العدل، ليس إلا كتاب الله وسنة رسوله)، ويحاربون هذه الفريضة القرآنية بالسنة النبوية، والسنة بريئة من محاربة القرآن الكريم، بل هم من يحارب القرآن والسنة.. وكل حديث نصبوه لرد آية كريمة فهو حديث خرافة.. سنة النبي (ص) محل اعتراف وإجلال من جميع المسلمين، فنصوص الفرق الإسلامية كلها على الاعتراف بالسنة، وحسن الظن بالجميع أنهم يقصدون سنة محمد بن عبد الله (ص)..

إلا أن ما نراه اليوم في الفكر السلفي خاصة والذي نحن - السلفيين وأشباههم- مسئولون عنه أمام الله قبل غيرنا، في تصحيحه ونقده وتقويمه .. إن ما نراه في هذا الفكر من ضيق بالآخر واحتقار له وشغف بأذيته ليس وليد اليوم.. إنه صناعة قديمة..نجدها في كتبنا .. والا نبريء الآخرين كما أسلفنا، لكن على كل مذهب أن يتقي الله ويصلح ما استطاع إصلاحه(والأقربون أولى بالمعروف) وبالإصلاح وبالتواصي بالحق والصبر عليه رغم الأذى ، من شك أو اتهام بالباطل أو حتى فتوى باستباحة دم ونحوه..

إذن فهذا المرض في عقولنا وقلوبنا من الهوى والتعصب والظلم والحسد وسوء الظن وتزكية النفس ...الخ..إن لم يتعاهدها المسلم بالمراقبة والتنقية - أولاً بأول- استحكمت وأصبحت نفساً مكان النفس... نفساً صلبة أمام كل تغير نحو الفضيلة.. صخرة تتحطم عليها كل النصائح والأوامر القرآنية الآمرة المسلم بنهي النفس عن الهوى .. وترك تزكيتها.. واستصحاب أن الإنسان بطبيعته ظلوم جهول ... وهذا الاستعداد النفسي والقلبي للظلم

والجهل والجزع والهلع هو ابتلاء واختبار من الله عز وجل؛ هل يستطيع الإنسان الخروج من ظلمات النفس إلى نور الوحي، ومن مظالم الهوى إلى عدل الإنصاف.. ومن عبادة الذات والبيئة والمذهب إلى عبادة الله وحده...

عبادة الله ليست فقط في ترك عبادة الأصنام، هناك الكثير من الأوثان المعبودة في أكثر قلوب المسلمين.. عبادة الرأي العام، وعبادة السياسة، وعبادة العلماء ، وعبادة الطائفة والمذهب، وعبادة الأنس بالجهل.. هذه عبادات أصعب من عبادة الأصنام، لأن صاحبها لا يعلم أنه يعبد غير الله.. صاحبها يتقرب بعبادة غير الله إلى الله، يتقرب إلى الله بالظلم والكذب والتعصب والحسد والبغض والتنابز بالألقاب وحب النزاع والتفرق، ...الخ.

وهناك أنهار تسقي التعصب والظلم على مر العصور.. أكبرها وأغزرها وأعظمها وأظلمها هو(السياسة = السلطة) وثاني الأنهار (هو المال)، ولو قرأ المثقفون في تاريخنا ماذا عمل هذان الشيطانان لعرفوا حجم هذا التأثير على الناس..

هذا الثنائي ينتج بعد دماء ودموع (رأياً عاماً)...

يسميه الناس فيما بعد (مذهباً) ..

هذا الرأي العام الذي تم تشكيله لم يكن مذهباً...

كان رأياً سياسياً ومصلحياً لأصحاب القوة

تحول إلى رأي عام بفعل القوة، لا البرهان ولا القناعة،

ثم هذا(المذهب) الذي أنشأه أصحاب السلطة بمالهم وعلمائهم وشعرائهم وعوامهم ومغفليهم وعامتهم وخاصتهم ودولهم وصوتهم وسوطهم...

أصبح ديناً جديداً..

يعرف منشؤه أنه ليس لله.. ولا إلى الله..

لكن الأتباع المغفلين - وهم العامة والأكثرية- لا يعرفون..

لأنهم أيام التشكل لا يتساءلون إلا قليلاً، فيتم بهم تثبيت هذا الرأي العام، ..

كما أن الطامعين – ولو كانوا أذكياء- لا يحرصون أيام التشكل إلا على مصالحهم الخاصة..

ثم مع مرور الأيام، وكرور الأعوام خلف الأعوام، يزداد المنضمون لهذا الثنائي المدمر..

فتنشأ الأجيال اللاحقة على دين غير دين نبيها صلى الله عليه وآله وسلم

..أجيال عجيبة تحيي ما أماته القرآن، وتميت ما أحياه القرآن..

وهنا تستحكم الأهواء..ويأتي أصحابها صماً بكماً عمياناً، فهم لا يرجعون إلى عقل ولا برهان ولا ضمير ..

أجيال مع القرآن وضده، مع الرسول وضده، مع كل فضيلة نظرياً وضدها عملياً، ... تنشأ هذه الأجيال عابدة لغير الله ظانة أن هذه عبادة لله.. ويغفر الله لمن شاء..

هذان النهران هما النيل والفرات لكل بلايا المسلمين.....

منذ أن فارقهم النبي (ص) إلى يومنا هذا...

السياسة تؤدي لزرع المذاهب وإنشائها..

فيطاوعها أهل الدنيا والغفلة ..

ثم ينشأ الأجيال اللاحقة متدينين بما ورثوه عن الآباء والأجداد على أنه دين الله ...لماذا؟ لأنهم وجدوا بيئتهم بكل ألوانها ومشايخها وسلطاتها تقول هذا الكلام..

الحمقى لا يعرفون أنهم نتيجة كبيرة ومخيفة لهذا الثنائي (السلطة والمال)..

سلفهم و وما يصاحبها من انتقاص الآخر، وتعطيل النقد الذاتي، وإشعال ... وتنهي بثمرة هي إنكار الحقيقة وبغضها ورفضها ..

[1] وهذه المؤتمرات والندوات حول (الدعوة) وسبل تطويرها وتطوير الدعاة.. الأولى منها أن نتوقف عن الدعوة تماماً.. حتى نتعلم إلى ماذا ندعو؟ كيف نعزم على صعود الجبل قبل افتتاح الطريق؟ .. فالله عز وجل يقول (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة).. فالبصيرة سابقة على الدعوة.. فلنتعلم البصيرة أولاً حتى ندعو عليها، ولنعبد الطريق أولاً حتى نسير عليه.. وعندئذ لا ينتشر تشويه الإسلام بانتشار الدعوة.. وإنما يصبح تطبيق المسلمين هو الدعوة نفسها، وتصبح النظرية السليمة دعوة نظرية سليمة، كما أن التطبيق السليم دعوة عملية ناصعة البرهان..

[2] مع أننا لا نذهب مذهب القرآنيين ونؤمن أن السنة في حالة ثبوتها ستكون متفقة مع القرآن الكريم في البيان والتأكيد والشرح والتفصيل، وأن النبي (ص) لا يخالف القرآن الكريم، إلا أن القرآنيين أفضل حالاً من أهل الحديث، فهم يدورون حول القرآن الكريم الذي لا يهدي إلا للتي هي أقوم، بينما أهل الحديث يدورون حول الحديث المظنون الذي تم وضع أكثره لمزاحمة القرآن وتشتيت هدايته وصرفه عن أهدافه الإلهية إلى استخدامات سلطوية ظاهرة وخفية، ومن هجر القرآن بسبب الحديث أولى بالبدعة والضلالة ممن هجر الحديث لأجل القرآن الكريم، والأكمل أخذ القرآن كله مع ما صح من الحديث وفق معايير صحيحة وليس تلك المعايير المذهبية التي عليها أهل الحديث في مصطلحهم، ذلك المصطلح الذي لا يقيم للقرآن ولا العقل ولا الحقائق وزناً في الحكم على متن الحديث ورجاله، مصطلح متخلف متمذهب لا يعطي برد اليقين ولا يحسن التعامل مع النصوص ولا الرجال ولا التاريخ ..الخ.

[3] وخاصة فيما يتعلق بحرية المعتقد وحقوق الإنسان والعدل والصدق والشورى وكرمة الإنسان... فهذه ونحوها لم يبوّب لها أهل الحديث والفقه ...مع حضورها القوي في القرآن الكريم..والسنة لابد أن تكون ظلاً للقرآن

الكريم، تفسره وتبينه تسير بجانبه، لا أن تنفصل عنه أو تعارضه أو تهمل أموراً اهتم بها.. أو تخترع أموراً أهملها..(قارنوا موضوعات الكتب الستة مع موضوعات القرآن الكريم، وستلحظون كم قضمت السياسة من القرآن، وماذا أبقت، وما ذا أضافت، وستأتي البراهين القاطعة الدالة على أن أثر السلطة في التدوين الفقهي والحديثي قد وصل إلى مدى لا يستهان به.. أما الإنتاج العقدي فهو إنتاج خالص للسلطة)!

[4] وللمزيد من قراءة سلوك السلطة وأثرها في الحديث والتاريخ وعقائد الناس وأفهامهم- انظر الملاحق التفصيلية..

[5] أرجو أن ينتظر القاريء الكريم تفسيري ومرادي من هذه العودة، ولا يخشى أحد من توحد لغتي مع لغة المشرعين لانتهاك حقوق الإنسان..للأسف أصبح كثير من الناس يخشى من هذه اللغة، لأن السلطة لم تتح عبر القرون لمن يفسر هذه العودة بما يتلاءم مع العدل والحق والصدق.. إنما أتاحت لمن يثرثر بهذه اللغة مع أسوأ تفسير في أقبح نية ..

[7] وأبشع هذه المذابح التي ذهبت بكثير من العلم لموت العلماء، حروب الردة ذهب فيها كثير من الصحابة، ثم الفتوح، ثم قتل الثوار في عهد عثمان لعثمان، وقتل معاوية لثلاثين بدرياً كعثمان في صفين وعلى رأسهم عمار بن ياسر، ثم مجازر الأمويين ضد أهل البيت في كربلاء، وضد المهاجرين وألأنصار بالحرة وبمكة، وضد التابعين في البصرة والكوفة..

[8] وأغلب غلاة عصرنا وسلفهم نيتهم حسنة، هم يظنون أن القرن الأول كان خيراً خالصاً، وأن أهل ذلك القرن كانوا يحبون الصحابة والتابعين بإحسان! وهذا وهم كبير ترده ومتواترات التاريخ والوقائع، صحيح أن القرن الأول كان أفضل لكثرة شهداء الله على الأرض، ولكن هؤلاء الصحابة استؤصلوا في القرن الأول، من قبل السلطات الأموية التي يدافع عنها هؤلاء الطيبون، فالأمويون استأصلوا أهل بدر بصفين قبل أن يحكموا، واستأصلوا أهل الرضوان بالحرة بعد أن حكموا، وختموا على أعناق بقية الصحابة بعد أن تحكموا، وهذا لا يذكره شيعي ولا خارجي، وإنما هذا ما أكده شاهد عصره، التابعي الكبير سعيد بن المسيب رضي الله

عنه، كما ورد في : صحيح البخاري [جزء 4 - صفحة 1475] قال - سعيد بن المسيب-: : وقعت الفتنة الأولى - يعني مقتل عثمان - فلم تبقِ من أصحاب بدر أحداً، ثم وقعت الفتنة الثانية - يعني الحرة - فلم تبقِ من أصحاب الحديبية أحداً ثم وقعت الثالثة فلم ترتفع وللناس طباخ (يعني قوة أو عقل أو خير)..اهـ والأثر في موطأ الشيباني (3/502): عن مالك عن يحي بن سعيد عن سعيد بن المسيب نحوه ولكن لفظ (فإن وقعت الثالثة..) ولفظ البخاري أقوى، وهو عند عبد الرزاق في مصنفه (11/358) عن معمر عن يحي بن سعيد عن ابن المسيب، وأحمد بن حنبل عن يحي بن سعيد عن ابن المسيب (كما في العلل 3/92)... ويقصد سعيد بن المسيب بالثالثة فتنة بني مروان.. فالفتنة الأولى التي استأصلت (أهل بدر) هي فتنة معاوية، وخروجه على الخليفة الشرعي علي بن أبي طالب، وقد شهد مع علي صفين سبعون من أهل بدر، وثمانمائة رضواني، وبقية المهاجرين والأنصار، وليس مع معاوية بدري ولا رضواني، وإنما طلقاء وأعراب وقبائل غسان وكلب، وغالبيتهم كانوا من النصارى، فقتل في صفين نحو نصف هؤلاء البدريين رأسهم عمار بن ياسر الذي نشر معاوية جائزة لمن يأتي برأسه، وقد تخاصم القتلة بين يديه كما في مسند الإمام أحمد وغيره..ومات بقية أهل بدر في عهد معاوية إما مهانين كبدريي الأنصار (قصة ابي قتادة مع معاوية: فاصبروا حتى تلقوه!)، أو مسمومين كبدريي المهاجرين (قصة موت سعد بن أبي وقاص مسموماً! بعد رفضه البيعة ليزيد ولياً للعهد!)، أو تم اغتيالهم كفاحاً (اغتيال محمد بن مسلمة في أول عهد معاوية وبإيعازه ، وكانت عنده أسرار عمر)! وأما الفتنة الثانية فكانت لابنه يزيد بن معاوية، وكانت في حق أهل المدينة (فبقي جيشه ثلاثة أيام يفجرون ويقتلون وينهبون وينتفون اللحى – حسب تعبير الذهبي الشامي-)، والثالثة فتنة مروان وخبيثهم الحجاج الذي أهان الصحابة بالحجاز وختم أعناقهم قبل أن يوليه عبد الملك العراق، وأتى هناك على البقية الباقية من صالحي أهل العراق، فهذه الفتنة هي التي قال عنها سعيد بن المسيب (أنها لم ترتفع وللناس طباخ (أي قوة) على قول الحق ومقاومة الباطل، أو (عقل) في تمييز الخير من الشر.. لكن هؤلاء الأبطال من الضحايا من

الصحابة والتابعين كانوا (شهداء) على عصرهم، يقولون لنا : لا ..كلما ظننا أن تاريخنا كان بخير..!ولم يقعوا فتنة في تصديق الفاجر، أوتكذيب المؤتمن....

[9] وشهود أهل بدر – باستثناء أفراد كسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة - مع علي خبر صحيح، وعليه كثير من الروايات القوية الأسانيد، ولها شواهدها التاريخية،،و لا يشكك في هذا الأمر وينكره إلا المتأثرين بالأموية، كابن تيمية ومدرسته، بلى شكك فيه بعض العثمانية المتقدمين كالشعبي، فقد كان يحلف أنه لم يشهد صفين مع علي إلا خزيمة بن ثابت! وهذه يمين فاجرة من متعصب، لا يعول عليها إلا جاهل بالتاريخ،، إذ لا يجادل أحد في شهود رأس البدريين علي بن أبي طالب، وعمار بن ياسر، وهما بدريان إجماعاً، والروايات على اختلافها في عدد الصحابة مع علي من أهل بدر والرضوان إلا أنها تؤكد على كثرتهم، وقد شنع الذهبي وقبله الساجي وابن الجوزي على حبة بن جوين العرني – وهو ثقة- واتهموه بالكذب لأنه روى أنه شهد مع علي ثمانون بدرياً! مع أن الوقائع تدعم روايته، ولم يحكموا على الشعبي بالكذب لحلفه بالله أنه لم يشهد صفين مع علي إلا خزيمة بن ثابت! مع أن شهود علي وعمار إجماعاً يفيد تكذيبه وفجور يمينه إن صح عنه، وأما حبة بن جوين العرني فالروايات والوقائع تدعم روايته ومنها : في تاريخ الإسلام [جزء 1 - صفحة 454] وقال سعيد بن جبير : كان مع علي يوم وقعة الجمل ثمانمائة من الأنصار وأربعمائة ممن شهدوا بيعة الرضوان، رواه جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد(والسند صحيح، وقد ذكره خليفة في تاريخه)، وقال المطلب بن زياد عن السدي : شهد مع علي يوم الجمل مائة وثلاثون بدريا وسبعمائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.وفي تاريخ الإسلام [جزء 1 - صفحة 467] بسند صحيح: قال عبد السلام بن حرب عن يزيد بن عبد الرحمن عن جعفر أظنه ابن أبي المغيرة عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه قال : شهدنا مع علي ثمانمائة ممن بايع بيعة الرضوان قتل منهم ثلاثة وستون رجلا منهم عمار، (قلت السند كاملاً عند خليفة - تاريخ خليفة بن خياط [جزء 1 - صفحة 46] حدثنا أبو غسان قال : نا عبد السلام بن

حرب بالإسناد والمتن سواء)، وفي البداية والنهاية [جزء 7 - صفحة 255] قال أبو إسرائيل عن الحكم بن عتيبة: وكان في جيشه (يعني علياً) ثمانون بدريا ومائة وخمسون ممن بايع تحت الشجرة رواه ابن ديزيل..، والحكم بن عتيبة يروي الخبر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري، وقد شهدها مع أبيه، وهذه الرواية أزعجت علماء الشاميين، فحاولوا تضعيفها، فقد روى جماعة عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه حدثنا أمية بن خالد قال لشعبة : إن أبا شيبة روى عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى : قال شهد صفين من أهل بدر سبعون رجلا، فقال (أي شعبة): كذب أبو شيبة والله لقد ذاكرنا الحكم في ذلك فما وجدناه شهد صفين من أهل بدر غير خزيمة بن ثابت..اهـ قلت: ابو شيبة ليس كاذباً بل الكاذب من زعم أنه لم يشهدها إلا خزيمة بن ثابت، وشعبة أكبر من أن يقول هذا القول، وكذا أحمد فقد روى في مسنده أن أبا فضالة بدري وأنه شهد مع علي صفين.. وهذا الخبر معلول، وأتهم به عبد الله بن أحمد، في حملته على أهل الرأي، وقد كان أبو شيبة قاضياً بواسط وهو جد آل أبي شيبة).. ثم أبو شيبة لم ينفرد عن الحكم بهذه الرواية فقد روى الحاكم - المستدرك على الصحيحين - (ج 10 / ص 358)- من طريقين: ثنا الخضر بن أبان الهاشمي ، ثنا علي بن قادم ، ثنا أبو إسرائيل ، عن الحكم قال : « شهد مع علي صفين ثمانون بدريا ، وخمسون ومائتان ممن بايع تحت الشجرة » اهـ، و عند ابن العديم في بغية الطلب في تاريخ حلب - (ج 1 / ص 81)... عن أبي الحسن المدائني أن أبا الحسن ابن أبي نعيم الفضل بن دكين قال: حدثنا جرير بن حازم عن يونس بن خباب قال: شهد مع علي بن أبي طالب يوم صفين ثمانون بدرياً..اهـ ، وعنده أيضاً - بغية الطلب في تاريخ حلب -(ج 1 / ص 81)- ..من طريق أبي علي بن شاذان قال: أخبرنا أبو الحسن الطيبي قال:حدثنا أبو إسحق الكسائي قال: حدثنا يحيى - يعني ابن سليمان - قال: حدثنا محمد بن عميرة النخعي قال: حدثنا أبو إسرائيل العبسي عن الحكم بن عتيبة قال: شهد صفين مع علي رضي الله عنه ثمانون بدرياً..الخ)، وكذا في - التدوين في أخبار قزوين -(ج 1 / ص 68)- حدث أبو الحسن القطان في كتابه الطوالات قال: ثنا محمد بن أبي

الوزير القزويني ثنا أحمد بن محمد بن أبي سلم ثنا محمد بن حسان ثنا أسباط ومالك بن إسماعيل عن أبي إسرائيل عن الحكم قال: شهد مع علي رضي الله عنه ثمانون بدرياً ...الخ)، وروى نحو هذا (سبعين بدرياً) يحي بن سليمان الجعفي شيخ البخاري بسند قوي (راجع تحذير العبقري والتقوية منه فلم أطلع على الإسناد). وفي تاريخ دمشق [جزء 19 - صفحة 442] بسنده عن بعض علماء التابعين: محمد بن علي الباقر، ومحمد بن المطلب، وزيد بن حسن قالوا : شهد مع علي بن أبي طالب في حربه من أصحاب بدر سبعون رجلا وشهد معه ممن بايع تحت الشجرة سبع مائة رجل فيما لا يحصى من أصحاب رسول الله ص - وشهد معه من التابعين ثلاثة بلغنا أن رسول الله ص - شهد لهم بالجنة أويس القرني وزيد بن صوحان وجندب الخير فأما أويس القرني فقتل في الرجالة يوم صفين وأما زيد بن صوحان فقتل يوم الجمل،اهـ، وكان علماء أهل البيت مهتمين بأسماء من شهد مع علي من باب حفظ حقوقهم في الذكر والثناء الحسن على الأقل، ففي تاريخ دمشق- (ج 16 / ص 53) من طريق الأجلح بن عبد الله الكندي قال سمعت زيد بن علي وعبد الله بن الحسن (المحض) وجعفر الصادق ومحمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية) يذكرون تسمية من شهد مع علي بن أبي طالب من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم، كلهم ذكره عن آبائه وعن من أدرك من أهله... الخ)، وذكر الخطيب في تاريخه إسناده عنهم أكثر من مرة في من شهد مع علي، وكذلك ابن أبي رافع مولى النبي (ص)، له كتاب في تسمية أصحاب أمير المؤمنين وروى من طريقه أهل التراجم كثيراً، ومنهم الطبراني في الكبير :حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا ضرار بن صرد قال: حدثنا علي بن هاشم عن محمد بن عبد الله بن أبي رافع عن أبيه في تسمية من شهد مع علي... الخ)، وهي طريق متماسكة رغم تضعيف أهل الحديث لمثل هذه الرويات كعادة كثير منهم فالنصب فيهم فاشٍ، وعند ذكر قتلى صفين نقل ابن كثير - البداية والنهاية [جزء 7 - صفحة 275]- وكان في أهل العراق خمسة وعشرون بدريا..اهـ قلت: يعني من الشهداء فقط.. ونحوه الذهبي في تاريخ الإسلام [جزء 1 - صفحة 466] إلا أنه

استدرك بقوله (ثوير متروك) .. قلت: كلا ليس بمتروك إلا مذهبياً..وقد وثقه بعضهم وروى عنه أئمة مثل شعبة، ولم ينقم عليه إلا التشيع – كما قال الحاكم- ولروايته شواهد صحيحة.. وعند خليفة شيخ البخاري - تاريخ خليفة بن خياط [جزء 1 - صفحة 42] بسند صحيح وهو نا أبو غسان (وهو مالك بن إسماعيل النهدي) قال : نا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قال :(كان مع علي يوم الجمل ثماني مائة من الأنصار وأربعة مائة ممن شهد بيعة الرضوان) اهـ.. قلت أهل الرضوان كانوا ألف وأربعمائة، فهؤلاء أكثر من النصف، وكان أكثرهم قد مات، والتحق بعلي بعد الجمل من التحق من أهل الكوفة والحجاز..فالروايات يدعم بعضها بعضاً.. وليس كما ذكر المتعصبون أنه لم يشهدها إلا خزيمة .. ولا أيضاً ما ذكره آخرون بأنه شهد مع علي مئتان وأربعون بدرياً...وإن كانت أكثر قبولاً عقلاً وإسناداً.. فقد روى الحاكم في المستدرك [جزء 4 - صفحة 486] بسند صحيح قال:

أخبرني محمد بن علي الصنعاني بمكة حرسها الله تعالى ثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا عبد الرزاق أنبأ معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال : ثارت الفتنة و أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم عشرة آلاف لم يخف فيها منهم إلا أربعون رجلا، وقف مع علي مائتان و بضعة و أربعون رجلا من أهل بدر فيهم أبو أيوب و سهل بن حنيف و عمار بن ياسر)..اهـ، قلت: وهذه الرواية وإن كان إسنادها صحيحاً إلا أنها منكرة .. وكأن هناك تصحيفاً في كلمة (بضعة) أو تكون الواو في (وأربعون)ابتدائية.. أو تكون ابتدائية في (وبضعة) .. على أن ابن سيرين كان منحرفاً عن علي ولن يقول هذا القول..وأما روايته بأن فتنة عثمان لم يشهدها أحد إلا أربعون أو ثلاثون، فيقصد الثورة على عثمان.. وكذلك كثير من الروايات في اعتزال الصحابة الفتنة إنما يراد بها الثورة على عثمان في الغالب، ولإثبات هذا تفصيل طويل..ولكن النواصب أظهروا كأن كل الصحابة مع عثمان ثم كلهم اعتزل الجهاد مع علي .. وهذه من كبار شبهاتهم التي صرفوا بها أتباعهم عن اتباع النصوص إلى ما يدعون من مواقف الصحابة..

وقال المسعودي في مروج الذهب - (ج 1 / ص 314) - وهو من أهل الاهتمام بهذا الشأن- : وكان ممن شهد صفين مع علي من أصحاب بدر سبعة وثمانون رجلاً: منهم سبعة عشر من المهاجرين، وسبعون من الأنصار، وشهد معه من الأنصار ممن بايع تحت الشجرة وهي بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعمائة، وكان جميع من شهد معه من الصحابة ألفين وثمانمائة اهـ..

قلت: وقول المسعودي قريب من قول ابن أبي ليلى وحبة بن جوين العرني وسعيد بن جبير والحكم بن عتيبة وأمثالهم من أهل العلم والاعتدال .. وهذا أقرب الصواب والاعتدال، أنه شهد صفين مع علي نحو الثمانين بدرياً أو أكثر بما لا يزيد عن المئة، أو أقل بما لا ينقص عن الخمسين، وليس الأمر على قول من يقول شهد مع علي (مئتان وأربعون بدرياً) ولا من يقول لم يشهدها إلا (بدري واحد)!..مع ملاحظة اختلاف الناس في أسماء البدريين كثيراً، وفي بدريتهم أكثر من اختلافهم في شهودهم صفين، وللفتنة أثرها في هذا الاختلاف الأول والثاني! ويكفي هنا أن الطرف الآخر الباغي (فئة معاوية) ليس معهم بدري ولا رضواني، ومن ألطف ما سمعته من أحد النواصب بنجد- ممن يحب يزيد والحجاج ومعاوية- وكنت أعدد له من شهد مع علي من أهل بدر قوله (علي وحده يكفي لا يحتاج أن تذكر معه أحد)! فأعجبتني كلمته، إلا أنه وزملاؤه يظهرون للناس أن الصحابة افترقوا قسمين، قسم مع علي وقسم مع معاوية! ودخلوا من باب الثناء على صحبة الطلقاء للطعن في صحبة أهل بدر، وأن الواجب تسليم قتلة عثمان ... ويرددون أقوال معاوية، لا يلتفتون معها لنص صحيح ولا بيعة شرعية ولا سابقة بدري، ولا خدعة القميص، ولا إهدار الصحابة للدماء في الفتنة (راجع قتال أهل البغي في الأم للشافعي)..

ومن الشواهد العامة ما رواه الطبقات الكبرى لابن سعد - (ج 6 / ص 9) قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس قال: حدثنا الحسن بن صالح عن عبيدة عن إبراهيم قال: هبط الكوفة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة وسبعون من أهل بدر، لا نعلم أحدا منهم قصر ولا صلى الركعتين اللتين قبل المغرب (وهذه الرواية وجدتها فيما بعد، وأضفتها هنا..)..

وحتى لا يبقى الكلام عاماً يستحسن هنا أن نذكر أشهر البدريين الذين شهدوها مع علي، وفي بعضهم خلاف في بدريته أو شهوده، لكن الأغلب وما عليه أكثر أهل السير وتراجم الصحابة أنه شهدها مع علي نحو السبعين أو الثمانين بدرياً.. فممن وجدناه :

1- علي بن أبي طالب ..أمير المؤمنين.. وذكره وحده كافٍ إلا أن البعض لكثرة النصب المبثوث يحتاج إيمانه بحق علي إلى دعامات.. وإلا فالأدلة النقلية والعقلية والتاريخية التي مع علي بن أبي طالب في منتهى الوضوح والحجة..

2- عمار بن ياسر وهو ميزان تلك الحروب كلها.. لارتباطه بأدلة فاصلة..

3- خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين الأنصاري..

4- وأبو عمرة الأنصاري،

5- وأبو أيوب الأنصاري،

6- وسهل بن حنيف الأنصاري،

7- وأبو فضالة الأنصاري،

8- وقيس بن سعد الأنصاري،

9- وأسيد بن ثعلبة الأنصاري،

10- وثابت بن عبيد الأنصاري،

11- ورفاعة بن رافع بن مالك بن عجلان الزرقي الأنصاري (تهذيب ابن حجر)،

12- ومسطح بن أثاثة المطلبي القرشي،

13، 14- والحصين والطفيل ابنا الحارث بن المطلب أخوا عبيدة، مطلبيان

15- ومسعود بن أوس الأنصاري،

16- وأبو بردة هانيء بن نيار،

17- وجبر بن أنس الأنصاري (معجم الطبراني : كتاب ابن أبي رافع)،

18- وخليفة بن عدي البياضي الأنصاري،

19- وربعي بن أبي ربعي الأنصاري،

20- وربعي بن عمرو الأنصاري،

21- وخويلد بن عمرو الأنصاري،

22- ورفاعة بن رافع الأنصاري،

23- وزيد بن أسلم البلوي،

24- والنعمان بن العجلان الزرقي الأنصاري (لسان الأنصار وشاعرهم)

25- وأبو حبة الأنصاري، ويقال أبو حنة..

26- وأبو حسن المازني الأنصاري، (قائمة البيعة عقبي بدري)

27- وأبو الورد المازني الأنصاري،

28- وأبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري،

29- وأبو طلحة الأنصاري،

30- وأبو الهيثم مالك بن التيهان الأنصاري،

31- وكعب بن عامر الساعدي،

32- وثابت بن قيس بن الخطيم الأنصاري (قائمة البيعة)

33- خوات بن جبير الأنصاري،

34- سهيل بن عمرو الأنصاري (وهو غير القرشي، فالأنصاري بدري مجهول! لأنه مع علي، والقرشي مشهور لأنه من الطلقاء والمؤلفة قلوبهم!)،

35- وعبد الله بن عتيك الأنصاري،

36- والفاكه بن بشر بن الفاكه الأنصاري،

37- أبو ليلى الأنصاري،

38- وأبو أسيد الساعدي،

39- ومعاذ ابن عفراء الأنصاري – أحد قتلة ابي جهل- ،

40- وأبو واقد الليثي،(مختلف في بدريته)،

41- وأبو دجانة الأنصاري،

42- عمرو بن بلال الأنصاري،

43- أبو قدامة بن الحارث الأنصاري،

44- والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي،

45- والحارث بن حاطب الأنصاري (الطبراني)

46- وخباب بن الأرت،

47- وجبلة بن ثعلبة الأنصاري، ولعله جبلة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري أو رخيلة بن خالد بن ثعلبة قاله ابن الأثير و احتمله ابن حجر.. يبحث..

48- والحارث بن النعمان الأنصاري (أبو نعيم)

49- ربعي بن رافع الأنصاري،

50- أنسة مولى رسول الله (ص)

51- هند بن أبي أهالة

52- أبو سعد الساعدي،

53- أبو مسعود الأنصاري،

54- جبير بن حباب بن المنذر (معجم الطبراني)

55- جبلة بن عمرو البياضي الأنصاري أخو أبي مسعود (معجم الطبراني)،

56- الحارث بن النعمان الأنصاري (معجم الطبراني)،

57- زياد بن لبيد البياضي..

58- أبو قتادة الأنصاري،

59- جابر بن عبد الله الأنصاري (في بدريته خلاف)،

60- أنس بن مالك الأنصاري (وأين أغيب عن بدر لا أم لك؟)..

61- أبو محمد الأنصاري (الطبراني 20/332)،

62- الحارث بن زياد الأنصاري شهد بدراً يعد في الكوفيين [مهم [أصحاب علي] (تهذيب ابن حجر 2/141)،

63- عنترة السلمي،

64- عبيد بن التيهان الأنصاري،

65-عبيد بن خالد السلمي (من المهاجرين)

66- الفاكه بن سعد بن جبير الأنصاري (مهاجري)!

67- فروة بن عمرو البياضي الأنصاري (بدري عقبي سكت عنه مالك)!

68- أبو عياش الزرقي (تبحث بدريته)

69- قرظة بن كعب الأنصاري (أحدي في طبقة أهل بدر)..

70- عثمان بن حنيف الأنصاري (أحدي في طبقة أهل بدر)..

71- ثعلبة بن قيظي الأنصاري بدري ..

72- الحجاج بن عمرو بن غزية الأنصاري.. يبحث

73- حنظلة بن النعمان الزرقي الأنصاري أحدي ويحتمل بدريته..

74- كعب بن عامر السعدي لعله الساعدي (بدري)..سبق ..

75- أبو الورد المازني يبحث..

76- أبو ليلى الأنصاري احدي تبحث بدريته

77- يزيد بن حوثرة الأنصاري أحدي تبحث بدريته.. أو يزيد بن نويرة له سابقة

78- سعد بن الحارث بن الصمة .. يبحث..

79- زيد بن أرقم أحدي

80- صالح الأنصاري بدري(الإصابة)..

81- أوس بن قيظي (يبحث)..

82- أبو قدامة بن الحارث الكناني أحدي قتل مع علي بصفين على غموض (ابن حجر)..

83- أبو قدامة الأنصاري (من شهود الغدير).. غير الأول.. ومن ولاة علي على البحرين قدامة بن عجلان – ولم أجده- فلعله هذا..

84- أبو عياش الزرقي..

85- عقبة بن عامر (بن نابي) السلمي الأنصاري ..(انظر ترجمة أبي أيوب)..

فهؤلاء فوق السبعين بدرياً ومن يرجح بدريتهم وجدناهم بأسمائهم، قتل معظمهم بصفين مع علي، أكثرهم في فضل العشرة، وعاش بعضهم بعد صفين، ولم يتجاوز بدري عهد معاوية على الراجح! وهذا تفسير رواية سعيد بن المسيب، ولا شك أن في بدرية بعضهم خلاف لأنه لم يتفق أهل المغازي على أسماء البدريين أصلاً، ولا على شهودهم المشاهد قبل علي وفي عصره، ولكننا نأخذ بالأغلب الأعم مع دعم الروايات العامة، وليس

هنا محل تحرير أسماء البدريين، ولا تحرير شهودهم، كما أن التعويل على الروايات في شهودهم أكثر من تعداد أسمائهم، فالأسماء يصعب تحديدها، ولو نبحث عن أسماء البدريين الذين شهدوا الفتوح لاستحال أن نجد نصفهم بالأسماء، .. فقد ذكر أهل التواريخ أن القادسية شهدها سبعون بدرياً .. ولكن لن يستطيعوا ذكر عشرة منهم بأسمائهم، والهدف أن نقول هنا أن من قتلهم هم أهل الشام، الذي يدافع عنهم بعض الغلاة والنواصب بحجة أن فيهم (صحابة طلقاء)، ولا يتذكرون أنهم ذبحوا صحابة بدريين، وأما ثانياً فهو أن فقد هؤلاء كان خسارة كبيرة على العلم والشهادة بالحق في المواطن الصعبة، مع أننا لم نذكر هنا فضلاء الصحابة ممن لم يشهد بدراً وشهدوا مع علي صفين وغيرها من مشاهده، ، كجابر بن عبد الله وزيد بن أرقم والبراء بن عازب وابن عباس والحسن والحسين ورافع بن خديج والمرقال وعبد الله بن بديل وحجر بن عدي وأبو الطفيل والجندبان الفاضلان العالمان /جندب بن زهير وجندب بن كعب/ وسليمان بن صرد الخزاعي، وسهل بن سعد، وأبو سعيد الخدري، ... وغيرهم كثير جداً ، ويكفي أنه شهد معه (800) من أصحاب بيعة الرضوان، كلهم في مرتبة ابن عمر وبعضهم أفضل منه صحبة وسبقاً، فكيف يوازن اغلاة والنواصب ويجعلون طلقاء أهل الشام وأعرابهم ونصاراهم في موازاة ومساواة مع هؤلاء؟.. هذا من آثار النصب التي تسللت إلى التراث السلفي خاصة، وتبعهم كثير من مقلدي المذاهب، كما أنني لم أذكر أفاضل التابعين المسفوكة دماؤهم مع علي، كأويس القرني وهو خير التابعين (الذي لم يذكر في الفتوح، لكنه حرص على القتال مع علي) وكذا الزاهد المشهور عامر بن عبد قيس وأمثالهم وعلقمة بن قيس كبير التابعين بالكوفة، وكميل بن زياد النخعي التابعي الزاهد، والأشتر النخعي البطل المشهور، والحضين بن المنذر، وأبو الأسود الدؤلي وآل صوحان،..وغيرهم... ممن لا يعرفهم أكثر الغلاة والنواصب.. أو لا يريدون أن يعرفوهم، فقد اكتفوا بمعرفة معاوية وابن العاص وابن حديج وأبي الغادية والضحاك ومروان والوليدَين واليزيدَين.. والخلاصة أن في قتل هؤلاء البدريين أو الفضلاء من غيرهم أو إذلالهم أو تهميشهم كانت له آثاره على الناتج الثقافي..وعلى

الثقافة العامة للمسلمين... وأدى هذا الفراغ الهائل بفقدهم إلى ملء هذا الفراغ بمن هو أقل منهم فضلاً وعلماً وشهادة بالحق..هذا على أقل تقدير.. فكيف إذا علمنا بأن فراغهم تم ملؤه بمن يسوغ للظالم ظلمه ويضع له الأحاديث ويغض من أهل العدل، .. ويشارك في إنتاج ثقافة بديلة ليس فيها إلا التوهين في العظائم والتهويل في الصغائر.. الخ لا شك أن هذا مما يميت العلم أو يقبضه ويرفع الجهل .. وهنا تكون الفتنة .. من شك وخوف وأغراء وإحباط وقلة فهم للدين وسماع نشرات أهل الباطل عبر المنابر..ثم السير في ركب الظلمة أو الركون إليهم.. ولذلك نجد من كان في الصحابة أفقه وأتقى كان أحرص على قتال أهل الشام خاصة، مثل عمار بن ياسر، كان من أحرص الناس على قمع فتنتهم. ففي تاريخ الطبري [جزء 3 - صفحة 99] (وعمار يقول تقدم يا هاشم الجنة تحت ظلال السيوف والموت في أطراف الأسل وقد فتحت أبواب السماء وتزينت الحور العين ... اليوم ألقى الأحبه ... محمدا وحزبه ... فلم يرجعا حتى قتلا..)، ولما رأى عمار بن ياسر راية عمرو بن العاص وهو مع معاوية ذكر أن تلك الراية قد قاتلها مع رسول الله أربع مرات، وأن موقف راية عمرو مع معاوية ليست بأبر ولا أتقى.. ففي تاريخ الطبري [جزء 3 - صفحة 99] بسند قوي عن عمار بن ياسر بصفين وهو يقول لعمرو بن العاص (لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاثا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الرابعة ما هي بأبر ولا أتقى).. فواضح أن عمر بن ياسر كان ممن فقه أهمية حرب البغاة مع علي، ولذلك ورد فيه الحديث المشهور في صحيح البخاري: (تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار) ومن التابعين نجد من فقه هذا الفقه مثل عبد الله بن سلمة، مصنف ابن أبي شيبة - (ج 8 / ص739) إسحاق بن منصور عن عبد الله بن عمرو بن مرة عن أبيه عن عبد الله بن سلمة قال- وقد كان شهد مع علي الجمل وصفين وقال : ما يسرني (بهما) كل ما على وجه الارض..اهـ ومن اللطائف ما ذكره ابن بطال: - شرح ابن بطال للبخاري - (ج 19 / ص 28)- وروى سفيان عن يحيى بن هانئ أنه قال لعبد الله بن عمرو: « على كان أولى أو معاوية؟ قال:علي. قال: فما أخرجك؟ قال: إنى لم أضرب بسيفٍ ولم أطعن

برمح، ولكن رسول الله قال:أطع أباك فأطعته » . وقال إبراهيم بن سعد: قتل أويس القرنى مع على فى الرجالة. وقيل لإبراهيم النخعى: من كان أفضل علقمة أو الأسود؟ فقال: علقمة؛ لأنه شهد صفّين وخضب بسيفه فيها).. فهذا إبراهيم النخعي كبير فقهاء التابعين في الكوفة، يفضل من شهد مع علي على من اعتزل، ولو سألنا أحد العلماء اليوم – باستثناء الشيخ ابن باز-لقال : الاعتزال أفضل.. وذهب يجلب لنا - بثقافة أهل الشام- الخلط بين أحاديث اعتزال الفتن وتنزيلها على عهد علي، ناسياً الأمر القرآني بقتال البغاة، وأن من أظهر تطبيقاته عبر التاريخ هو هذه الحرب تحت راية علي بن أبي طالب، بل لن يسلم تطبيق قتال البغاة في هذه الدنيا كلها إن لم نصوب قتاله للبغاة ونعده واجباً، وعلى هذا كل فقهاء المذاهب الأربعة، لم يخالف في هذا إلا ابن تيمية لمذهبه المعروف، وادعى كاذباً أن الإجماع على هذا كعادته! مع أن كل كتب الفقه تقرر وجوب قتال البغاة والمحاربين، وأنه لو تُرك أهل البغي والمفسدون في الأرض لذهبت المصلحة من وجود الدولة، ولا أعلم أحداً من مدرسة ابن تيمية يخالفه في هذا الرأي الشاذ، إلا الشيخ ابن باز رحمه الله، فهو الوحيد من هذه المدرسة من يرى وجوب القتال مع علي، وأن الصواب ليس الاعتزال كما يشيع هؤلاء..وهذا الفقه الذي لمسناه عند علي وعمار وإبراهيم النخعي أدركه ابن عمر ولكن متأخراً ..! بعد أن رأى كوارث بني أمية فقد ندم على تركه قتال الفئة الباغية كما أمر الله .. وذكره عنه ابن عبد البر في ترجمته من عدة وجوه صحيحة.. وإنما أطلت في هذه الفقرة لأن الغلاة يتتعتون فيها، تماهياً مع مطلب معاوية، بخلاف استبشاعهم نسبياً! لجرائم بني أمية في المواقع الأخرى، كالحرة وكربلاء وهدم الكعبة..فهم يتظاهرون إلى حد ما بإنكار ذلك..وبعضهم قد يفرح بذبح الشهداء وحكم السفهاء..وهذا شأنهم .. لست عليهم بمسيطر..

[10] قتل الحسين وبضعة عشر من ذرية فاطمة وسبعين من أصحابه ..كانوا من أبرز الشهداء على فساد الوضع العام في ذلك الزمان..
وبالمدينة قتل من المهاجرين والأنصار وأبنائهم عشرة آلاف منهم 700 ممن جمعوا القرآن الكريم..قال ابن كثير الأموي الهوى (لم يكد يفلت أحد

من أهلها)..! وتم إجبار أهل المدينة على البيعة على أنهم عبيد ليزيد.. فمن قال: أبايع على الكتاب والسنة تضرب عنقه..وهؤلاء الشهداء- سواء الحسين وأصحابه أو أهل المدينة- أسهمنا في قتلهم أكثر من مرة، مرة بتسويغ قتل الظالمين لهم، ومرة بإماتة ذكرهم، وثالثة بتحميلهم المسئولية دون دولة الظلم، ومرة بنسيان تضحياتهم، وهم من شهود الله على هذه الأمة، وقد سرد خليفة بن خياط في تاريخه أكثر من ثلاثمائة من أعيان هؤلاء الشهداء.. وتم إذلال مدينة الرسول (ص) إذلالاً بليغاً.. فمثل هذه الأحداث ستميت العلم .. وتسهم في إظهار طبقة علمية متماشية مع الوضع القائم.. وكاتمة لبعض العلم رغبة أو رهبة .. ومنصرفة من الاهتمام بكبريات الأمور إلى صغارها.. مفرعة للمساقاة والزارعة، دون العدل وبيت المال والشورى، وبهذا تندرس معالم الدين الكبرى شيئاً فشيئاً..إذ سرى الإحباط إلى أكثر الناس.. واصبح من أقل همومه تغيير المنكر العام.. وانصرف إلى النهي عن المنكرات الصغيرة التي لا تمس النظام ولا الرأي العام الذي أنتجته السلطة..

[11] انظر تركيز المعارضة على الاستشهاد بالقرآن، وتركيز الموالاة! على الاستشهاد بأقوال الرجال أو الأحاديث الضعيفة أو المبتورة..ولهذا علاقة بالعلم..

[12] يقصد السلطة .. والحسن البصري على شهرته وفضله لم يكن من صقور الأشهاد..كان يخشى الفتك ... بينما مثل الصحابي يزيد الضبي كان يخاطر بنفسه في قول الحق والصدع به .. بينما استزلت السلطة مثل ابن سيرين وأمثاله.. وابن سيرين كان من أوائل رموز الثقافة البديلة التي نتجت عن استئصال الثقافة الحية ..

[13] وهذه غريبة من الحسن البصري .. فلا ريب أن للمتكلم فضلاً فوق الساكت.. لكنه سئل وهو في مرحلة ضعف.. وإلا فهو إن شاء الله من رموز شهود الحق.. لكن النفس تضعف أحياناً..

[14] وهذا الحديث صحيح المعنى قوي السند، لكنه من الأحاديث التي أماتته السياسة..وقد رواه مسند أحمد بن حنبل [جزء 3 - صفحة 50]

والطبراني وأبو يعلى وغيرهم.. وتجنبه الصحيحان وأكثر المصادر: وهو عن أبي سعيد الخدري : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس ان يقول بحق إذا رآه أو شهده، فإنه لا يقرب من أجل، ولا يباعد من رزق أن يقول بحق أو يذكّر بعظيم)...

[15] كانت عادة بني أمية أن يخطبوا الخطبة جلوساً على المنبر، ويطيلونها أكثر مما يطيلها الزعماء العرب اليوم، وتكون الخطبة سياسية ليس فيها دين ولا شرع.. فيستمرون في هذه البيانات حتى يخرج الوقت ويعدون أنفسهم في صلاة ما داموا جالسين يخطبون ...فلذلك قال الحكم: أولسنا في صلاة؟ وعد الأمر بالصلاة لوقتها جنوناً..

[16] قلت يقول الله: ولا تكتموا الشهادة .. وكان الواجب على أنس أن يشهد بالحق، وهنا يتبين أن بني أمية قد قضوا على أصحاب الشهادة إما قتلاً أو ترهيباً..

[17] نستفيد أن ههذ هي العقوبة الأموية .. للشاهد بالحق.. وهي عقوبة أفضع بكثير من عقوبة المأمون وأمثاله ممن يجلدون الناس على أمر مشتبه..

[18] قلت لأن التفريط جاء متدرجاً ولم يحافظ الصحابة على قول كل الحق برمته وحذافيره وفي كل وقت.. وانما استسهلوا ترك بعض الشهادة خشية الخلاف. فأصبح التفريط عادة ينمو مع موت الأخيار وكثرة الأشرار... ولما أتى بنو أمية كانوا يأخذون الأظهر إنكاراً فالأظهر ..إلى أن أصبح الأخيار قلة وسط بحر من أصحاب المصالح، .. فتسلطوا على البقية حتى أصبح جزاء من ينادي بالصلاة لوقتها هو : (سمل العينين وقطع اللسان وقطع اليدين واالرجلين مع الصلب)! فكيف بإنكار الشئوون الأخرى؟! ومن أين سيعرف الناس الدين؟ من اين ستظهر لهم ثقافة سليمة؟ يعرفون بها ما لهم وما عليهم؟...وإذا لم يستطيعوا الشهادة بأن وقت صلاة الجمعة يجب أن يكون قبل المغرب بكثير.. فماذا سينكرون؟ ..

[19] ابن رجب يحسن الظن كثيراً عندما يذكر أن هذه مجرد (عوائد)! كلا.. كان بنو أمية يريدون تحطيم كل مقدس في الإسلام.. من هجاء النبي (ص) بالأشعار، إلى هدم الكعبة بالمنجنيق، إلى نبش قبور شهداء أحد، إلى محاولة نزع منبر النبي (ص) من مكانه، وإلى الأكل على منبر مسجده، إلى النهي عن الاقتراب من قبر النبي (ص)، إلى هدم الحجرات التي كان ينزل فيها القرآن، إلى اشتراء بيت النبي (ص) بمكة وجعله للدواب! إلى إضاعة الصلاة وأمر الناس بذلك.. إلى تحويل القبلة إلى بيت المقدس (بنو مساجد حديثة قبلتها إلى بيت المقدس) إلى الحج إلى بيت المقدس في عهد عبد الملك، إلى لعن الممثلين لسيرة النبي (ص) وعدله وخلقه، كعلي بن أبي طالب، إلى سب فاطمة ابنته ولعنها (كما فعل أصحاب يوسف بن عمر).. إلى جعل القرآن هدفاً للسهام في عهد الوليد الفاسق.. إلى النذر بشرب الخمر فوق الكعبة .. إلى تسمية زمزم أم الخنافس(خالد القسري)، إلى استباحة المدينة والفجور بنساء المهاجرين والأنصار وبناتهم في عهد يزيد.. إلى الطواف برأس الحسين والتمثيل به .. إلى صلب النساء عاريات منكسات..إلى سحب الألسنة التي تنادي بالسنة وسيرة أهل الفضل وقطعها.. إلى التشكيك في نبوة النبي (ص) شعراً ونثراً.. إلى تسمية الصحابة منافقين (كما فعلوا مع عمار وابن مسعود وعلي..) إلى تسمية الصحابة كذابين (علي والحسين وابن الزبير ..) .. وفي الجانب الآخر تسمية الفجار من عبيدهم (أهل النصيحة والاستقامة) و(أهل الجماعة والطاعة)! وتفضيل أمرائهم على الأنبياء، والاهتمام بالقصص والمهاجيات القبيحة، إلى حرب القرآن والروايات الصحيحة، .. إنه انقلاب كلي على الإسلام.. ولولا تلك الدماء الطاهرة من المهاجرين والأنصار وأهل البيت والشيعة والخوارج والجهمية ..التي لم تترك للدولة وقتاً لتهدأ ولا لتلتقط الأنفاس..ولم يتركوا لها الصيرورة بالدين إلى المستقر الذي يريدون.. ولو فعلوا لانتهى الإسلام وملة إبراهيم.. وعادت اللات والعزى بجوار مقام إبراهيم!.. ولا ننسى فضل من أربك هذه الدولة الشيطانية من داخلها كعمر بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد ومعاوية بن يزيد بن معاوية رحمهم الله..

[20] يعني قتل وهذه هي الشهادة العظمى، وهي الشهادة بالمعنى القرآني..

[21] أنس هنا والشهادة لله لم يقم الشهادة على وجهها.. فسامحه الله، إلا أنه قد شهد في آخر عمره شهادة حق.. عندما أخبر عن تضييع بني أمية لكل شيء حتى الصلاة ..

[22] وهذه غاية في التحكم والجبر..

[23] تتمة الرواية: فعاتبهم بعض الناس..على كلامهم والإمام يخطب! فقالوا: لم نؤمر أن نسمع لمثل هذا..

[24] قلت: الجملة المعترضة مني، وهذا مما يدمي القلب.. أن تجد فضيل بن غزوان وأمثاله.. يتأسوفون على عهد الحجاج بأن الناس لم يكونوا يخرجون من المسجد وهو يخطب-! فالحجاج وهو الحجاج استطاع أن يزرع ثقافة مضادة للدين يجأر بها بعض التابعين!.. وتقولون : أن الناس ما كانوا يسكتون على حق أبداً؟!!

[25] عذر قبيح.. وما عليه أن يقال هذا؟ .. إنما هو الخوف من السلطان ..

[26] نعم ابن عمر في هذا الموطن من الشهداء .. وقد دفع حياته لهذا الموقف وأمثاله.. إذ دس إليه الحجاج من ضربه في رجله برمح مسموم وسط الزحام.. فمات منها عام 74هـ.. وهو أول مقتول ظلماً في الحجاز بعد القضاء على ابن الزبير وأصحابه..

[27] صحيح، وقد رأينا أنه يقول ليزيد الضبي : لا يرى لمتكلم فضلاً لأنه يهلك نفسه.. فهذه الثقافة خطيرة على الناس.. لفضل الحسن وعبادته ولكنه عاد إلى الإنكار كما في الرواية.. ولكن الثقافة السلطانية غلبت..

[28] هنا الحسن قام بالشهادة .. بعد أن فرط فيها زمناً.. رحمه الله ورضي عنه.. وقد كان يجد المكايد من ابن سيرين وأمثاله ..

[29] والأحاديث في ذلك كثيرة فمنها، المقربون من السلطة نفسها كأبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص، ، فروى أبو هريرة - صحيح البخاري [جزء 1 - صفحة 44]- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (

يقبض العلم ويظهر الجهل والفتن ويكثر الهرج)، قيل يا رسول الله وما الهرج ؟ فقال هكذا بيده فحرفها كأنه يريد القتل.. وفي المعنى عن أبي هريرة بسند صحيح - المستدرك [جزء 4- صفحة 504]- عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : سيأتي على أمتي زمان تكثر فيه القراء و تقل الفقهاء و يقبض العلم و يكثر الهرج قالوا : و ما الهرج يا رسول الله ؟ قال : القتل بينكم ثم يأتي بعد ذلك زمان يقرأ القرآن رجال لا يجاوز تراقيهم! ثم يأتي من بعد ذلك زمان يجادل المنافقُ الكافرُ المشركُ بالله المؤمنَ بمثل ما يقول!! صححه الحاكم وأقره الذهبي، وفي المعنى ما رواه عبد الله بن عمرو - صحيح البخاري [جزء 1 - صفحة 50] - : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا..) وفي المعنى نفسه روى أبو أمامة - مسند أحمد بن حنبل [جزء 5 - صفحة 266] - قال : لما كان في حجة الوداع قام رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فقال : يا أيها الناس خذوا من العلم قبل ان يقبض العلم.. –فسأله بعضهم- فقال له يا نبي الله كيف يرفع العلم منا وبين أظهرنا المصاحف وقد تعلمنا ما فيها وعلمناها نساءنا وذرارينا وخدمنا؟ قال فرفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه وقد علت وجهه حمرة من الغضب فقال:..هذه اليهود والنصارى بين أظهرهم المصاحف (أي كتبهم) لم يصبحوا يتعلقوا بحرف مما جاءتهم به أنبياؤهم الا وإن من ذهاب العلم ان يذهب حملته - كررها ثلاث مرار..-اهـ باختصار.. وفي المعنى عند الطبراني في المعجم الأوسط [جزء 2 - صفحة 250] عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله قال : يقبض الله عز وجل العلماء قبضا ويقبض العلم معهم فينشأ أحداث ينزو بعضهم على بعض نزو العير على العير ويكون الشيخ فيهم مستضعفا) ..اهـ، وفي المعنى حديث عوف بن مالك الأشجعي- صحيح ابن حبان [جزء 15 - صفحة 115] بسند صحيح-: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى السماء يوما فقال : (هذا أوان رفع العلم) فقال له رجل من الأنصار يقال له : لبيد بن زياد :يارسول الله يرفع العلم وقد أثبت

ووعته القلوب ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن كنت لا أحسبك من أفقه أهل المدينة) ثم ذكر اليهود والنصارى على ما في أيديهم من كتاب الله..!قال (جبير بن نفير الراوي عن عوف) ، فلقيت شداد بن أوس فحدثته بحديث عوف بن مالك فقال : صدق عوف.. ألا أدلك بأول ذلك ؟ يرفع الخشوع حتى لا ترى خاشعا)..اهـ قلت:والخشوع في الصلاة أو الخشوع لله محفز للنفس على الصدق مع الله وعدم الإشراك في الشهادة ..وإذا صح الحديث فإنه يدل على أن رفع العلم بدأ مبكراً في تاريخ المسلمين..ولا بد أن يبدأ التناقص في العلم بموت النبي (ص) نفسه، ثم تتابع الصحابة الكبار والمخلصين في الوفاة.. فقد قتل منهم مسليمة وجيوشه العشرات في حروب الردة والانفصال، وقتل منهم معاوية وجيوشه المئات في حروب البغي والانفصال..أما أهل الجمل والخوارج والثوار على عثمان فلم يقتلوا إلا أفراداً من هؤلاء..

[30] وحتى لا يكون كلامي نظرياً .. خذوا (قول الزور وشهادة الزور) ماذا يفهم منها عامة الناس؟ بل عامة العلماء؟ ..هل يدخلون في هذا المعنى الغلو في سلفهم وقولهم عنهم مالا يصح ولا يعقل؟ هل يدخلون في هذا المعنى شهادتهم لأنفسهم زوراً بأنهم على كذا وكذا من الفضل والعلم والتقوى وإرادة الحق..؟.. هل يدخلون في هذا المعنى نقص الناس من الخصوم أشياءهم بأن فيهم من المثالب كذا وكذا من أنواع الكفر والبدع والمعاصي والهوى ..الخ؟.. إذن فما معنى قول الزور وشهادة الزور؟ لقد تم حصره في الخصومات الفردية .. بألا تقول على جارك إلا الحق، ولا تبريء نفسك من الظلم.. الخ.. نعم الذهنية العامة للمسلمين لا تفهم هذه المباديء الكبرى إلا في أضيق نطاق.. مما لا أثر له في إصلاح الشأن العام السياسي والثقافي..

[32] وهي من شروط حياة الأمم والشعوب... وبفقدانها،... (لا حياة لمن تنادي)..

[33] البقرة ، آية 143 ... يجب الإشارة إلى أن مثل هذه الآية ممن فيها ثناء مشروط على الأمة كقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس

تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) يجعلها بعض المسلمين تزكية ثابتة، بينما هذا ما أراده الله منا..، ولا تتحق الخيرية إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأإيمان بالله، وكذلك لا نكون شهداء على الناس مادامت شهادتنا غير عادلة حتى شهادة بعضنا في حق بعض، لإغنها تنطوي على تظالم.. ولذلك أتى الحديث(لتتبعن سبل من كان قبلكم) مما يدل على أن الخيرية تكون في وقت دون وقت.. وفي أناس دون آخرين من هذه الأمة.. ومن هذا قول عمر (والله لو شاء لقال أنتم خير أمة..)الأثر ..فكان عمر رضي الله عنها يحصر هذه الآية في ببعض من سلف من الأمة مع تقدم عهده، فكيف بالأمة فيما بعد؟ والخير في هذه الأمة موجود لكنه في زمن أفضل من آخر، وفي أناس أفضل من آخرين..ومعظم المسلمين اليوم لا يصلحون للشهادة حتى على أنفسهم داخل المذهب الواحد، فالظلم فيهم فاشٍ، والجهل عاشٍ..

[34] آل عمران – آية 140..فالشهداء صفوة من المؤمنين.. يتخذهم الله ويصطفيهم.. ولا يستحق هذه المنزلة العظيمة إلا لمن ضحى بأشياء كبيرة لهذه المنزلة الكبيرة..وأكثر المفسرين يوردها في الشهادة التي يعنون بها القتل في سبيل الله.. والمعنى أعم من ذلك ..

[35] البقرة - آية 140.. وهذا يؤكد أن كتم شهادة الحق من أكبر الكبائر وأظلم الظلم..بينما هي فريضة غائبة تماماً عن كثير من السلف والخلف، ... والتفريط في الشهادات الكبرى التي لها أثر على الناس وعلى الثقافة من فهم الدين ودوره، أبلغ وأعظم جرماً من التفريط في الشهادات الصغرى في الأمور المحدودة من الخلافات بين الأفراد أو الحقوق الخاصة..

[36] ! المعارج – آية 33.. هذه الصفة العظيمة التي يجب أن يتصف بها المسلم، ذكرها الله مع الصفات الأخرى كالصلاة والزكاة.. وهي صفة شبه منسية تماماً..وخاصة القيام بالشهادة لله.. لأن القيام بالشهادة في إحقاق حق صغير، تبقى أقل فضلاً من إقامة الشهادة لله على وضع عام، أو ظلم فاشٍ،

أو شخصية فاتنة، أو تحريف فقيه لدين الله..والشهادة تعظم بقدر عظمة ما تدفع من باطل أو تحيي من حق على وشك الموت!.

[37] البقرة –آية 283... وكتمان الشهادة أخشى أن يكون الأصل في المسلمين قديماً وحديثاً.. والاستثناء هو من يدلي بشهادته ..فكم من حق يعرفه المسلم ويسكت عنه؟.. ثم التعبير بإثم القلب دليل على أن الشهادة المكتومة لا علاقة لها بالجل بالحقيقة.. وإنما بما تهوى الأنفس! بالتعصب..

[38] النحل – 89..الشهداء على الأمم هم الرسل، ولكن ليسوا وحدهم فمن المؤمنين شهداء لله أيضاً على أقوامهم (ويتخذ منكم شهداء)، فاحرص أن تكون شاهد صدق، على عصرك أو تراثك، أو أي شيء ترى في شهادتك عليه حاجة.. وخاصة الوضع العلمي والثقافي ولو بكلمة.. فيما تعلم.. لكن تذكر أن تكون الشهادة لله وحده ل تشرك معه أحداً..

[39] المائدة – آية 108.. وهذا توجيه بأن تكون الشهادة كاملة ودقيقة..وألا يتم صرفها عن وجهها، فالبعض قد يعترف بأمر عظيم ثم يعتذر عنه بأمر يسير فتخرج القضية وكأنها متساوية الطرفين.. مثل من يدافع عن مجازر الحجاج وبسر بأن الضحايا يستحقون بعض ذلك! فهذا لم يأت بالشهادة على وجهها، وهذا يشبه من يدافع عن قاتل بأن المقتول لم يصافحه!فيظهر للقاضي وكأن الظلم سواء من الطرفين!

[40] البقرة - آية 282 ، وكل باحث عن الحقيقة مدعو اليوم لقول الحقيقة التي يعلمها.. يقولها لله، ليس لمذهب ولا سلطان ولا إقليم ولا صحبة محرضة ولا عداوة لدودة.. وكم من ممتنع عن الشهادة بالحق في هذا الزمان ...ولن يعدم تأويلاً من هنا أو هناك..

[41] آل عمران – آية 99.. هذا خطاب لبني إسرائيل وهو عام لكل مؤمن.. بأن الله يريد منك الشهادة فلا تظهرها معوجة.. بل تفقد نيتك أولاً وطهرها من إرادة التعصب والحكم المسبق.. ولا تصد عن سبيل الله ولا سبيل أي حق من آمن به.. ومن القبيح في حق الشاهد أن يستشهده الله فيخون الشهادة لدنيا فانية أو تزكية زائلة أو رضا متقلب في البلاهة.. ومن

استشهده الله فخان الشهادة عمداً وهوى كانت عقوبته كعقوبة من بدل من بني إسرائيل..

[42] النساء – آية 69 والشهادة هنا بالمعنى العام الذي يدخل فيه المقتول في سبيل الله بشرط ألا يكون قتاله إلا لله.. لا حمية طارئة ولا عصبية لفئة ولا افتخار بقوة .. والحمية الجاهلية ليس منها الحمية على الدين والعرض والنفس والمال ونصرة المظلوم... فالمقتول دون هؤلاء هو شهيد..

[43] النساء – آية 135.. انظر الآتي..

[44] المائدة – آية 8.. في هاتين الآيتين أبلغ دلالة على عظمة الشهادة، فهي قيام لله بالعدل، وقيام لله بالشهادة، وجعل القيام متعلقاً بالله مرة، وبالقسط أخرى، يدل على أن من فرط في ذات الله كمن فرط في العدل.. والله هو العدل، ومن أسمائه العدل، والشهادة يجب أن تكون لوجه الله فقط لا يشرك معه غيره، وأن تكون بالعدل لا يشرك معه هوى ولا عصبية، ولأن هذه منزلة لا ينالها كثير من الناس فقد قرن الشهداء بالأنبياء، وكانت الشهادة من أبرز وظائف وأهداف النبوة (إنا أرسلناك شاهداً) ومن أراد أن يفوز بوظيفة كبرى من وظائف النبوة فعليه أن يكون في مستوى هذه الوظيفة..حتى يكتبه الله مع الشاهدين.. ويلحقه بالذين أنعم الله عليهم..

[45] المائدة – آية 44... والعبرة بعموم اللفظ.. فلا يغتر مغرور بصيغة الخصوص هنا..

[46] هود - 18 ...قلت : هنا يكون الجرح الحق والتعديل الحق، لأن بصر الجميع سيكون حديداً، ورجال الجرح والتعديل يوم القيامة (الأشهاد) قد لا يكونون هم أصحاب الجرح والتعديل في الدنيا.. بل قد يكون هناك رموز من أهل الصولة في الجرح والتعديل ممن يشهد عليهم(الأشهاد) بأنهم كذبوا على ربهم..وأباحوا أو سوغوا الظلم في حقوق المظلومين جماعات وأفراداً.. فالآية ظاهرة بأن من لم يكن شاهد صدق في الدنيا لن يكون من الأشهاد في الآخرة، ولكن قد يكون من المشهود عليهم، ولم يخلصوا شهادتهم لله، كأنها محاكمة لمن تسموا (علماء وفقهاء ..)وهم

يكذبون على الله، ويسوغون الظلم لكل ظالم..ولا ينصرون الضعيف ولو بكلمة .. ولا يسمعون حجته.. ولا يصدقون إلا من رضي عنه الظالم الكذوب.. وهؤلاء الجنس ممن يسمون علماء.. كثير جداً قديماً وحديثاً...وفي الغالب هم لا يجهلون الظلم وأهله ولا المظلومين ..

[47] الحج – آية 78 هذه ظيفة النبي (ص) وقد أداها كاملة.. وبقيت على كل فرد من أمته..وسيسقط فيها كثيرون.. اللهم لا تجعلنا منهم...

[48] الزمر – آية 69...هذه من آيات عظمة الشهادة، فهم يشهدون للأنبياء بأنهم قد بلغوا الرسالة ونصحوا، وإذا كان المعنى أن الأنبياء والشهداء في موقع واحد ضد المشركين والظالمين فهذه مرتبة عظيمة أيضاً، لأنه يدل على أن الشهداء يكونون في هذا الموقع هم الحجة على الأمم بعد الأنبياء..

[49] الأنعام – آية 150... وهذا دليل على وجب استقلال الشاهد، فلا يشهدبشهادة غيره من الظالمين أو المغفلين أو من يشهد بشهادة غيره، فيجب على الشاهد أن يشهد لله بما يعلم، وكأنه في محكمة قاضيها الله .. وعلى قدر تعظيمه لله تكون استقلال شهادته..وعلى قدر تعظيمه لشهود الزور ستكون متابعتهم، .. لا ترى عيناه إلا الله فقط عند أداء الشهادة..وأما من تابع أتباع الظالمين وشهد بشهادتهم.. وهم قادرون على استقلال شهادتهم فيندمون عندما يتبرأ (الذين اتُبعوا من الذين اتَبعوا)... والآية وإن نزلت في خصوص المشركين الذين كاوا يحرمون على أنفسهم أموراً لم يحرمها الله إلا أن العبرة بعموم اللفظ، فكل من تهور في التحريم يقع في الخطأ نفسه .. ولذلك فصل الله ما حرمه في الآيتين بعدها مباشرة ولم يهمل فيهما الأمر بالشهادة والعدل والقسط فهذه من أوجب الواجبات، :
(قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ

فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون (152))..ولأن الشهادة لله، فما تحته خط أرى أن المذاهب لها فيه تفريط كبير..خذ التقليد والتكفير واختلال الموازين واستحلال الدماء بالشبهات والغلو في العلماء والفقهاء وإبطان نية السوء...الخ، وهذا كله بالتقليد والتعصب قد يدخل المسلم في شيء من الشرك..

[50] الحديد - 19..الشهادة الحق لها نور يطرد كل الظلمات.. ويسفر عن الحقائق التي ما فتيء الأتباع يحبون خفاءها..الأمر عظيم.. ولكن أكثر الناس لا يعلمون..

[51] – النساء 41...

[52] – المائدة – 117.. وكذا محمد رسول الله (ص) وكل الرسل، يشهدون لأصحابهم وأتباعهم ما بقوا بينهم، فإذا غادروا هذه الحياة، فليسوا مسئولين عمن يعبد البشر.... والله شهيد على الجميع..

[53] القصص – 75..الشهداء من كل أمة هم أنبياؤها...والسؤال موجه لمن كذبهم وعاندهم..

[54] وكذلك أبواب وفصول كتب الفقه... أما كتب العقائد فتأثرها بالسلطة، وانتهاكها ما حرمه الله من حقوق المسلم، وما بثته من عقوابت وضعية، ومزايدتها على السلاطين الظلمة، ... فأمور ظاهرة جداً..(راجع كتابنا الآخر:قراءة في كتب العقائد)..

[55] صحيح البخاري [جزء 6 - صفحة 2633]، مسلم (3/1469)وغيرهم من حديث عبادة بن الصامت الصحابي العقبي البدري.. وهو من كبار الشهود على التغير المبكر في صدر الإسلام..

[56] ولن ندخل هنا الشهداء في عهد النبوة والخلفاء الراشدين، من سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر إلى علي بن أبي طالب (نهاية الخلافة) .. فهؤلاء محل إجماع على خلاف في بعضهم أعني من يظهر لنا أنه قاتل للدنيا أو شجاعة أو عصبية ...وإنما سنقتصر على شهداء التغيير ومقاومة

الظلم في القرن الأول..فهؤلاء المغيبون عن الذاكرة الإسلامية قدآن لهم أن يذكرهم التاريخ ويطرز شهاداتهم بأحرف من نور ...